



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية: الآداب واللغات

الدلالة الرمزية لرؤيا والموت في الأغنية الشعبية
- غرود عالية -

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر (ل.م.د).

تخصص: أدب شعبي

إشراف الدكتورة:

* عقيلة قرورو

إعداد الطالبان:

✓ فطيمة عتير

✓ لبنة بالحشاني

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الأسم و اللقب
مشرفة و مقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	د/عقيلة قرورو
رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	د/العيد حنكة
مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	د/العلمي مسعود

السنة الجامعية: 1438 . 1439 هـ / 2017 . 2018م

لا إله إلا الله الحليم الكريم

سبحان الله رب العرش العظيم

الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك

وعمزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برّ

وسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبًا إلا غفرتة

ولا همًا إلا فرجتة، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها

يا أرحم الراحمين

شكر وعرفان

تقف أمامنا صعوبات ونحن نحاول صياغة كلمات الشكر والتقدير
للأستاذة المشرفة "عقيلة قرورو" التي أضاءت بعملها عقل غيرها وهدت
بالجواب الصحيح حيرة سائلها فأظهرت بسماحتها تواضع العلماء
وبرحابتها سماحة العارفين.

إليك أستاذتنا الكريمة

كما نتقدم بالشكر إلى الدكتور "أحمد زنجب" رئيس المشروع لمساندته
ونصائحه الثمينة.

إلى كل من نحترمهم ونقدرهم، أستاذتنا الكرام من الطور الابتدائي

إلى الطور الجامعي تحية إلى كل هؤلاء

لهم منا جزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير والامتنان

مقدمة

إن الأغنية شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، بل هي ذلك النوع من الأدب الشفوي والأغنية الشعبية لون من ألوان التعبير الإنساني من آحاسيس النفس وهي تعبير صادق من حياة الإنسان في ذاته وبنينه الإجتماعية تتناقلها الذاكرة تعيش بحكم النقل الشفاهي وفي قلوب الناس حيث تطربهم وتسليهم وتروح عن نفوسهم بجمال ألحانها بنض الروح فيها جعلها خالدة إلى يومنا هذا، وهذه ما نجد المحفوظة في التراث الشعبي الشفوي، والموت حدث إنساني وفاجعة كبرى لها أثر عميق على نفسية الناس بشكل عام وعلى نفسية وشعور المقربين بشكل خاص، ومن هذا منطلق كان للموت كموضوع جوهري واقعي كبير في نفوس المستمعين للأغنية الشعبية " غرود عالية " التي عرفت رواجاً كبيراً وصدى واسع في المجتمع السوفي، وما دفعنا لاختيار هذه الموضوع هو الدافع الذاتي وأخرى موضوعية.

أما عن الدافع الذاتي فيتمثل فيما يلي:

- ميلنا إلى الأغنية الشعبية الذي اعتبرت من الأدب الشفوي وإعجابنا الشديد بالأغاني الشعبية السوفية كوني بنتا المنطقة.

أما عن الدافع الموضوعي ندرة الدراسات في هذا الشأن التي تختزن كنزاً غنائياً هاماً ومحاولة التعرف ولفت انتباه واهتمام الدارسين في هذا المجال بهذه منطقة بغية إنجاز دراسة علمية حول هذا الموضوع.

أما عن الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على واقع الأغنية الشعبية السوفية بصفة عام وأغنية غرود عالية بصفة خاصة ومعرفة مدى اهتمام السكان المنطقة بها، ومن خلال هذه الدراسة يتأتى لي جمع بعض الأغاني الشعبية سوفية وإبراز خصائصها وكشف خصوصيات ومقارنتها بأغنية غرود عالية إن الإشكالية التي يقوم عليها هذه البحث ماهي واقع الأغنية الشعبية السوفية؟ وماهي

أغنية غرود عالية وما مدى اهتمام السكان منطقة بهذه الأغنية ونزاولهم عليها وماهي خصائص هذه الأغنية التي تميزها عن باقي الأغاني الشعبية السوفية الأخرى؟

* ولحل هذه الإشكالية تطرقنا إلى الخطة التالية تدرج ضمن فصلين الفصل الأول: أغنية الشعبية السوفية ضمن مبحثين :

مبحث أول : الأغنية الشعبية السوفية

مبحث ثاني : الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية

الفصل الثاني : قصة الأغنية الشعبية غرود عالية

مبحث أول : تحليل قصة أغنية غرود عالية ودلالاتها

مبحث ثاني : صورة المرأة والمجتمع السوفي في قصة الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية

* أما عن منهج المتبع في هذه البحث المنهج التاريخي الوصفي يصف أحداث وقعت لقصة في زمن ماضي في المجتمع السوفي .

هناك مجموعة من الصعوبات واجهتنا أثناء هذا البحث هو ندرة المراجع ومصادرها حول الأغنية الشعبية السوفي غرود عالية.

أما أهم مراجع ومصادر المعتمد في هذا البحث هي:

- مجلة القباب، مجلة عروس البوادي

- مصادر: الفلكلور لأحمد زغب .

- آهازيج لمحمد فاضيل بن عمر

ولا يفوتني في نهاية أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة المشرفة عقيلة قرورو وكل أعضاء

اللجنة مناقشة .

الفصل الأول:

الأغنية الشعبية السوفية

المبحث الأول: الأغنية الشعبية السوفية

-توطئة

- الأغنية الشعبية

- الأغنية الشعبية السوفية

المبحث الثاني: الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية

- توطئة

- أغنية غرود عالية

- شرح أغنية غرود عالية

- البنية الإيقاعية لأغنية غرود عالية

- البنية الفنية الجمالية لأغنية غرود عالية

توطئة:

إن الغناء الشعبي أحد الفروع الرئيسية من عائلة المأثورات الشعبية، فهو نتاج تزاوج نص شعري مع اللحن والموسيقى اللذان ينبعان من المجتمع الشعبي نفسه في أغلب الأحيان، والأغنية الشعبية السوفية نتاج مجتمع ككل من خلال أفراده المبدعين الذين يعبرون عنه وهي تعكس شعور الجماعة وذوقها أكثر مما تعكس شعور المغني وذوقه، كما تعكس بكلماتها مختلف أنشطة حياة الإنسان اليومية.

1- الأغنية الشعبية: لسان الشعب بما يحكي همومه وأفراحه فهي تملك ذلك الارتباط المادي والعقلي والروحي بالمجتمع إذ هي إبداع صادر عن الفكر الوجداني يشترك فيه الأبناء ويمارسونه في مناسباتهم الاحتفالية وهي من أقدم أشكال التعبير الفني الشعبي، وأحد ملامح تاريخهم الراسخ وتراثنا وأحد الأجزاء الهامة منه، وقد نجد مجموعة من الباحثين الذين كرسوا جهودهم لدراسة الأدب الشعبي عامة والأغنية الشعبية خاصة¹، "الكسندر هجرتي كراب" يعرف الأغنية بأنها قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية وماتزال حيّة في الاستعمال²، ويعرفها "فوزي العنتيل": (بأنها قصيدة غنائية ملحنة مجهولة النشأة بمعنى أنّها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمانا طويلة)³.

ويعرفها الباحث "لظفي الخوري" تعريفا لها أقرب للدقة بقوله: (أنّها الأغنية التي يرددها الشعب ويستوعبها ويتناقلها وتصدر عن وجدانه وتعبر عن آماله، وليس شرطا أن يكون الشعب هو مؤلفها بل تبناها من مؤلفها الأصلي مجهول فأصبحت ملكا للشعب كله).

وتطابقه مع الإيقاع الشعري فيها وان يختار الصوت المناسب لأداء الأغنية سواء كان صوت رجل أو امرأة أو طفل أو كان المؤدي منفردا أو ضمن مجموعة على أن يكون صوت المغني أو المغنية

¹ - مجلة القباب، دار الثقافة بالوادي، العدد التاسع، جوان 2009، ص: 60.

² - هجرتي كراب الكسندر، علم الفولكلور، نزار احمد رشدي صالح، دار الكتاب، القاهرة، ص: 218.

³ - محمد شمس الدين مجدي، الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م، ص: 27.

متفقاً مع لحن الأغنية، في طبقة الصوت وأسلوب الأداء كذلك عليه أن يدقق في اختيار أنواع الآلات الموافقة وعددها تساعد في التعبير عن المعنى العام للأغنية ولهذا يفترض في الملحن أن يكون ملماً بالنواحي الأدبية للغة التي تكتب فيها الأغنية ولاسيما أوزانها الشعرية.

2- خصائصها: إنّ للأغنية الشعبية مجموعة من خصائص:

- **التغيير:** فالأغاني الشعبية لم تحفظ بنصوصها الأصلية بل طرأت تعديلات وتغيرات ألبيتها إبداعاً متواصلاً وبذلك يتضح أنّ الأغنية الشعبية محل التبدل والإضافات والنقل الشفاهي مهمة رئيسية في إيجاد نصوص غنائية متغيرة حتى نكاد لا نجد نصّاً واحداً يسلم من التغيير والإضافة.
- **الغنائية:** بحيث يلاحظ الدارسون أنّ طبيعة الأغنية الشعبية ذات طبيعة غنائية أي أنّها ذاتية للغاية وهي تعالج موضوعها بجدية وأنّ مزاجها دائماً فرحاً فهي غنائية في جوهرها أي ذاتية في مقام الأول وهي تتناولها موضوعها بطريقة جادة وقد تنقصها ظلال العواطف أو تنوع درجتها ثم إنّ ألوانها شهيرة شأن الألوان في الصناعات الريفية ومزاجها العام ليس فرحاً.
- **اللحن والنظم:** إنّ لعنصري اللحن والنظم في الأغنية أكبر الأثر في جذب القلوب إليها وشغف الناس الكبير بها كما إنّهما يساعدنا على حفظها وعدم نسيانها¹.
- **الانتماء البيئي:** الأغاني الشعبية وليدة المجتمع إذ تعكس الواقع، كما تعكس عاداته وتقاليده وميادينه وتتأثر بمجرياته فمن سماتها التحامها بالمجتمع وارتباطها بحياته وبيئته، فالأغنية وبيئتها متسمان كل منهما الآخر فهي تبدو في الحالة السابقة وكأنّها تأتي تلقائياً أو عفوية من شفاه المغنين.
- **الانتشار:** فالأغنية الشعبية سريعة وسهلة الانتشار لأنّ الألحان تفرد لها أجنحتها حتى الحدود اللغوي لا تؤلف حواجز تستعصي على العبور والاجتياز و سر انتشارها أنّها تعبير صادق عن واقع الحياة، وهي تعكس المشاعر والأحاسيس الشعبية كما تتمثل في ضمير الشعب ووجدانه، كما أنّها قادرة على التعبير على الفرح والسرور والحزن والبؤس.

¹ - مجلة القباب، من إصدارات دار الثقافة، عدد التاسع، ص:62.

3- موضوعاتها:

للأغنية الشعبية موضوعات كثيرة فهي معبرة عن قضايا المجتمع المرأة، الحب، الكرة، الشباب، الآفات الاجتماعية، الطيش، المعاملات الاجتماعية، العنف، الخلافات، الظلم والبطالة والصدقة وغير ذلك من الموضوع الرئيسي للأغنية هي المرأة، للمرأة النصيب الأوفر والتداول الأوسع في الشعر الشعبي فكانت الغرض الذي خاض فيه الشعر بتوسع فقد أثارت اهتمامات الشعراء وألهمت قرائحهم بفيض من الأحاسيس ومثلما كان لها أعلامهم في الشعر العربي الفصيح خلودها فعاشت في أذهانها.

مثال تقول: الأغنية:

أناس مهوم	سهران الليل عيني حيه
مادانيش النوم	على الطفلة اللي داهبيا
أناس يرونها	وشام ميل في داها
رأى رقبة حافت مصلوبة	كليتها ذراعين

فالمرأة تصور غالبا على أنها بعيدة عن محبها وأنها دائما بحاجة إلى وسط تلعبها لوعته إلى رؤيتها¹، ومن هذا المنطق كان للأغنية السوفية حضور قوي في المجتمع السوفي.

4- الأغنية الشعبية السوفية:

يعتبر الغناء في منطقة سوف الناطق الرسمي باسم المنطقة باعتباره استطاع المحافظة على الكثير من ملامح الثقافة السوفية كما عكس لنا العديد من المراحل التي مر بها السوفي عبر التاريخ والمكان وإذا أردنا تبويب هذا النوع من الغناء السوفي ضمن نطاق الغناء الشعبي لاحتوائه على خصائص هذا النوع من الغناء والتي يمكن تلخيصها في أنه:

1- قصائد غنائية معظمها قديم ملحنة ومجهولة النشأة.

2- قصائد تخض بيئته معينة ويتبناها شعبها وهي الصيغة التي تشكل ملامح مورثة الشعبي العام.

¹ - المرجع السابق، مجلة القباب، العدد التاسع، ص: 62-63-64.

وقد عرّف البعض مصطلح الأغنية الشعبية على أنّها: التي تتناقلها الأجيال بلهجة بسيطة الوجدان الجمعي دون أن تنتسب إلى قائل معين أو زمن محدد، وتخضع الأغنية الشعبية خلال التحولات الاجتماعية لتغيرات في مضامينها وألحانها وأشكالها¹.

5- تاريخ الأغنية الشعبية السوفية وأطوارها:

- الآلات الوترية والفرق المحلية:

1- قديماً: يؤكد الفنان "التارزي حويدق" العضو السابق في فرقة الأمل أنّ منطقة الوادي لم تعرف الآلات الوترية إلاّ بظهور اليهودي "شلومو" وضابط الإيقاع "محبوب ميلود" وعازف آخر على آلة شبيهة بالقيتارة يسمّى "باسة الرومي" وشاركت هذه المجموعة في أول مهرجان لسنة 1934م في دور الجزائر للموسيقى وكانت هذه المجموعة تقيم حفلات في بعض الحانات والمقاهي، ثم بدأت مجموعة من الفنانين بالظهور ثم رحيل "شلومة" وقع ركود كبير في الإنتاج الغنائي والموسيقى إلى سنة 1950م حيث ظهرت الزرنة كآلة موسيقية تصاحب الغناء وكان من أشهر عازفيها "مسعود همامي" و "علي بليمة" و "لرقت إبراهيم" و "الطيب الوصيف" من الرباح و"غادة الشيخ" من المقرن و"الحفناوي" من حاسي خليفة وأنّ علي سوفي أول من سجلت له أسطوانة سنة 1921م.

ويرى الامين دية أنّ المنطقة قبل أن تعرف الغناء اشتهرت بـ"القول" بحيث تتم المباراة الشعرية بين الشباب والعريس ويجب على هذا الأخير أن يجد ردود لكل هجمات الشعرية إلا كانت العقوبة حرمانه من الدخول على زوجته ليلة زفافه، ثم ظهر نوع آخر اسمه "اللايدي*" وكانت الأغنية تعتمد أساسا على الصوت، وقبل أن يظهر الغناء عند الرجال كان الغناء عند النساء².

لأنّ الغناء كان يعتبر عيبا أو مخالفة أخلاقية وكانت النساء تغني خفية حيث تجد في الغناء متنفسا من القهر والمعاناة ولهذا غلب على الطابع الغنائي مقام الصابا و البياتي ثم جاء لون جديد يعرف

¹ - المرجع السابق، مجلة القباب، العدد التاسع، ص:75.

² - عروس الوادي، العدد الثالث، المجلة السنوية : تصدر عن محافظة مهرجان محلي لدار الثقافة للموسيقية والأغنية السوفية، ص: 97.

*اللايدي: كلمة عربية تعني هز الصوت أو مول.

بـ"الرداسي" حيث يقوم الرجال بالغناء والنساء تنخ وفي هذه الفترة أضيف الإيقاع إلى أداء الغنائي والرداسي ينقسم إلى ثلاثة أقسام منها الرداسي وفيه تكون النساء النخايات ستة واقفات أي منحنيات بعض الشيء إلى الأمام ولم تستعمل في المرحلة أية آلة موسيقية، بل اكتفوا بالصوت الغنائي ثم النوع الثاني وهو النخاخي حيث تجثوا النسوة على ركبتين وتقمّن بالنخ لكن في هذه الفترة ظهر مزار كآلة موسيقية مصاحبة للغناء والنوع الثالث هو موقف حيث تقف النساء ويستندن إلى عصي مرتكزة على الأرض والغناء هنا مصحوب كذلك بالمزمار¹.

6- علاقة البيئة بالأغنية الشعبية السوفية:

تحدث "الاستاذ العربي اللبي" عن علاقة البيئة الصحراوية بطبيعة الأغنية السوفية فالمنطقة تمتاز بقساوة وجفافها وعدم توفر الصناعات مما جعل الانسان السوفي يمتاز برهافة الحس والتذوق الفني انطلاقا من الاعجاب بصوت الإنسان قبل أن يعجب بأي آلة موسيقية أخرى لهذا السبب أعجب الإنسان السوفي بالموال واستخدام كل التأثيرات الجمالية للتأثير على السامع، ويعد وصول الآلات الموسيقية إلى منطقة الوادي في مطلع القرن العشرين أعجب الفنان السوفي بالعود والناي ولأنّ الميولات الفنية بالمنطقة العربية أساسًا وأشهر الآلات التي استحوذت على أعراس وحفلات المنطقة هي آلة الزرنة أو كما يقال لها بالتركية "الصوناية" أي آلة الناي الجهير وصوت هذه الآلة يتطلب الطبل كآلة مكملة وهذه الآلة اشتهرت بها المنطقة الشمالية للعراق وتركيا وسوريا، يلاحظ كل من يحلل طبيعة الكلمات والألحان في الأغنية السوفية أنّها من نسج نسائي ويعود ذلك إلى كون الغناء كان كوسيلة للتنفيس عن معاناة المرأة السوفية عندما تخلو إلى ذاتها أو تداعب مولودها ونجد ترجمة هذا فيما ورد في أغاني الفنان عبد المناعي كما يتضح ذلك في طبيعة الإيقاعات التي تختارها الأغنية السوفي.

¹ - المرجع السابق، ص: 98.

7- عناصر الأغنية الشعبية السوفية:

استحوات على ثلاثة عناصر :

1- اللحن العفوي البسيط

2- اللهجة العامية

3- الدلالة الاجتماعية

8- ملامح الأغنية الشعبية السوفية:

تتأثر الأغنية السوفية تأثير شديد بالبيئة وجمالها، تستقطب الأغنية الشعبية كافة فئات الشعب: المدني، الفلاح، البدوي ، تتميز الأغنية بكثرة أنواعها الفنية: التنروي، العتاب، الترويد.
- تستلزم بعض الأغاني الشعبية من حيث بنيتها الفنية ببحور الشعر العربي¹.

9- مراحل الأغنية الشعبية السوفية:

الأغنية السوفية تمر بثلاثة مراحل من الشاعر المتأثر بحدث ما إلى المرأة التي تحاول نسجها إلى أغنية ثم إلى الفنان لكي يصدرها إلى المجتمع بطريقته الخاصة².

10- منطلقات الأغنية الشعبية السوفية:

تنتقل الأغنية السوفية من مشاعر حقيقية تبتدأ بالوصف هذه المشاعر ويتأثر بها الفنان تأخذ صدى اجتماعي ورواج بين المجتمع ما حالي إذن أغنية السوفية مجهولة المؤلف، لها لغز وراء كل أغنية صدرت عن مشاعر معينة.

11- خصائص الأغنية السوفية:

إنّ الشعر العربي حدث سماعي مثقل بالاحترام والصراع الذي يتجسد يوميا بأسرار ومقاصد في ميدان الحياة الاجتماعية، وله صدى في الروح والذاكرة يحرك الهواجس ويودج التاريخ النفسي البعيد لهذه اللغة عبر جدلية حادة تتسرح دراميا في محورين، أرضية الواقع ومخيلة الانسان، إنّ اللغة

¹ . تسجيل صوتي عن الفنان عبد الله المناعي، يوم 26 فيفري 2018، ساعة: 11.50 دقيقة.

² . تسجيل صوتي عن الشاعر جونف محمد المولدي، مواليد 24 جانفي 1953م، يوم السبت 8 فيفري، ساعة: 11.12 دقيقة.

المحكّية هي لغة الناس اليومية، أي أنّها لغة التخاطب، فهي محتشدة بالطاقة الشعورية ومثقلة بجماليات المكان تفوح بزمن وتجارب الآخرين وتحمل في طياتها وثناياها وهج الواقع والابعد النفسية، واللونية والحلمية وحكمة الإنسان المعاصر بالإضافة إلى أنّها تحتضن خيال الحكايات والأساطير الفولكلورية وسحر وأسرار البلاغة من خلال التداول اللفظي لذلك نجد أنها أداة التعبيرية يتصف بالواقف الانسانية وقد عبرت بألوان الأدبية مختلفة.

إذا عدنا إلى اللغة الشعرية الشعبية في سوق نجدتها ملائمة بالرموز والإيحاءات، والصدق العاطفي الفني لذلك فهي مؤهلة لأن تحمل لواء الصدارة وتترجم كواليس الفنون المختلفة، وخاصة الفن الغنائي، إنّ الأغنية العصرية أثبتت فشلها في التعبير عن طموح المجتمع، كما رأينا ذلك سابقا في أزمة الاغنية الشعبية التراثية محل العصرية، لأنّ كلمات الأغنية العصرية مبتذلة، وفاقدة للصدق العاطفي، ولأنّ كتاب الكلمات ليسوا مختصين وتطفي عليهم العجلة والارتجال، في حين نجد التراث الغنائي منهلا عذابا وبحرا ينصب معينة، وقد كانت الأغاني الإكثار نجاحا وسفينة، هي تلك الأغاني النابعة من التراث الجزائري¹.

فقد ظلت أغنية "حيزية" ولمرة أكثر من نصف قرن محل إعجاب وتقدير، ولها جمهور واسع في شتى أرجاء الوطن، ومازالت هذه من نصف الملحمة تستقطب الهواة وتدعم إرادة الفن الشعبي الأصيل لذلك فالدعوة التي أوجهها الاحياء التراث الغنائي المحلي ليست دعوة مثالية أو خيالية، بقدر ما ترتكز على واقع اجتماعي وثقافي وحضاري دعم هذا النوع من الغناء وأكسبه الشعبية.

12- أنواع الأغنية الشعبية السوفية:

يوجد ثلاث أنواع من الأغاني يمكن التمييز بينها لما يطلق عليها صفة الشعبية طبقاً للآراء

الدارسين:

¹ . جيلاني حسان، من التراث السوفي الغنائي، دار شهاب باتنة، الجزائر، ص: 72.

- النوع الأول: أغاني ذات صيغة شعبية مألوفة وملحنة حديثاً بواسطة فنانيين محترفين يؤديها مطربون ومطربات يرتبط اللحن بأسمائهم عبر وسائل الإعلام، وقد يكون هذا النوع محبوباً عند الناس وينتشر لفترة زمنية محدودة طالت أو قصرة، لذلك نجد أنه من النادر أن تصمد هذه الأغنية أمام سيل الإبداع المتجدد ولهذا لا تعتبر من الناحية العلمية أغنية شعبية حقيقية أو فلكلورية³

- النوع الثاني: الأغاني التي يؤديها المغني الشعبي المعترف النابع من بيئة شعبية معتمد على موهبة وإمكانياته الشعبية والقدرة على الارتجال والتلوين، مثل الموالم والقصة والملحمة والطقطوقة، وهذه الألوان في الحقيقية لا يمكن اعتبارها كلها تراثاً شعبياً موروثاً سواء في الشكل أو الإطار لكل نوع وإذا كانت نصوصها مؤلفة خصيصاً للمؤدي فيعتبر لونها شعبياً فقط¹.

- النوع الثالث: الأغاني التي انتقلت شفاهة عبر الذاكرة الشعبية والتي لا ترتبط بمؤدي معين بل يؤديها كل أفراد المجتمع على مدى سنين، والكل ساهم فيها بكلمة أو جملة أو تعديلاً أو استحداث جديد يواكب الحالة أو المناسبة التي يراد بها التعبير عنها أو ربما على لحن جديد على نفس النص وبذلك يتشعب اللحن الواحد إلى عدة ألحان وأشكال جديدة وهذا من خصائص ومميزات الأغنية التراثية².

13- أشكال الأغنية الشعبية السوفية:

أ - غناء ترفيه البال:

*هاجي عليها يالهاجي:

أول بداية والصلاة على النبي وأصحابه والحادش علي

سقم بينا يا حمل الغرابة حملك تقيل وخطوتك زرابية

هاجي عليها يالهاجي يجعلك حيلة في الطرق تلاجي

قالت كحيلة من ريد غدامس الفم في القرية والريق يابس

¹ - فتحي الصنفاوي، حول مفهوم الأغنية الشعبية، مجلة الموسيقى، العدد 36، القاهرة، 1997 م، ص 8-21.

² - مرجع سابق، ص 31.

أول بداية والصلاة على النبي

وأصحابه والحادش علي

يوصل للمهارة تقرب لبعاد تفلي واد البعيد والمرّة

يوصل مقام سيد لسياد ساس الشرق ولد الحرة

القواد عارف كل ابعاد على مدة ثلاث أشهر تغبه جرة

قد ما حاذينا رجال سيوقو ماذاقتنا من جبال يتوفر

أول بداية الصلاة على النبي

وأصحابه والحادش علي

ألمو يا رسول الله إحنايا حجيننا لكنت القبلة ولا صلينا

قد ما مشينا رأي قالت سوقو ما خلفنا من جبال يتوقو

قد ما مشينا رأي جت طوح نبشروك بشرى رأو خالك روح

أول بداية والصلاة على النبي

وأصحابه والحادش علي¹

ب- غناء الغنم بالقصبة:

يا عين فرخ العتلوج

صايغ رشاشة فوق راس قار ممدود

صاخود معاته فوق الشماته لا لوم²

ياريت عندي جمل رزقي وحلالي

تلحق زينة المسقم حدود الفلالي

فوق الشماته لا لوم

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيغ من التراث الشعبي بولاية الوادي، د.ت، د.ط، ص: 1.

² - المرجع نفسه، ص: 12.

ياريت عندي بقرات رزقي وحلالي

نلحق زينة الصفات حدود الفلالي

فوق الشماته لا لوم

ياريت عندي علوش رزقي وحلالي

نلحق زينة الحرقوف حدود الفلالي

فوق الشماته لا لوم

ما يذبل النوار كان القلبي

وما يطلق السمحات كان المبلي¹

ج - غناء أفراح الطرود:

يسيد في فصل الخريف عندما يعتدل الجو تبدأ أفراح الطرود من أربعة إلى خمسة أيام ويبدوون يشترتون لوازم العرس من قمح والفرماس، والتوابل، والكابو، والفلفل، وزيت، وشاي، والسكر، والقهوة، والفلول، والحنة الخضراء والبطاطا والزينة والحمص وغيرها...

*موقف النساء:

صلوا على رسول الله وزيدو الصلاة عليه

أمي سممتني الحوتة والحوت في البحر عوام

يا لاحق بنات الناس علاش تطول بالغبية

أمي سممتني البسباس والبسباس مالو باس²

يا لاحق بنات الناس علاش مطول بالغبية

يلي طبطب في الباب علاش يديك يترعديو

سايس ياوليدي سايس مالي البيت مارقدو

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الشعبي بولاية الوادي، د.ت، د.ط، ص: 7.

² - المرجع نفسه، ص: 12.

هيا نحدروا للبير نتحدثوا لحديث الزين لما فيش الغربه

يا طفلة عجبتي زينك وأنت غريتي بيا

هيا نحدر للواد نتحدثوا حديث أجواد

لم فيس الغربه يا طفلة عجبتي زينك ونتي عريتي بيا

هيا نحدر للشيخ نتحدثوا حديث مليح لمفيش الغربه

يلي لاحق بنات الناس علاش طول الغيبة¹

*موقف وجمال (تتهز في المحفل):

جا بيها على حامدي:

عميش وجه الريح بماليها ، تاريخ شاهد على ماضيها عميش عندم مالي يفلوا الحمادين والرمل العالي

المراحل تحوش وحجاف تكال حدود وعميش يفلي.

*موقف رجال "تهتز في المحفل":

جايها على حامدي:

عميش وجه الريح بماليها، تاريخ شاهد على ماضيها عميش عنده مالي يفلو الحمادين والرمل العالي

المراحل تحوش وحجاف تكالي حدود لييا وعميش يفلي.

د- أفرح الربيع:

- رداسي:

جايها حمى لطوفة

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهاريح من التراث الولائي السوفي، ص: 17.

الراجل غلباته مراته في جهنم لحاته
 غلباته عياله تلوحه في فم الزندالة
 يعود ذلك يتقالى كي الكلب اللي معرفش مياته
 تكشفه حاله لدغت شارف ماهيش شلفاظة
 عاد حال يشف هابنت الزامل دناته
 عملته كشفه مبلدها يطيعها قصفة
 يبساته نع الحشفة ومن باب الرحمة قحmates
 عملته رصدة بالسحر السوري كتفاته
 جابت لسحار وخياني دارتله العار
 دارتله خديم في الدار يطيب حرقاته لباطة
 شلغصاته نع الفار نزوت عنه خوفاته
 غلباته مرته لحاته في فم القلثة
 عادنا قص شرته في البحر السابع لحاته
 عطاته صفقة هالكلبة يعطيها قصفة
 بكري كانو حنيوة ورفقة شوى تويكا لبحاته
 كي جاته الحومة عالسفقة عطاته بونية دوخاته
 عطاته بونيا قاتله هيا قدم هوني
 رام أهلي عنك شرطوني صدو يا جيران أخطوني¹
 نديره في الفطور سلاطة خلوي نقصله رحيات
 دارتله عجبه كل يوم ديرله هزبة مازلت في الحجة
 تقوله اللي قتلك عنه هاته تحددله كذبة

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الولائي السوفي، المرجع السابق، ص: 23.

دكله راسه في خرواطة داراته كراسه¹
 وفرقاته من عرش وناسه راو عاد براسه
 في لغيا عملتله شكيمة مقواد يتبع
 قضتله حتى عن حياته تصرط بالعجنة
 باش الناس يشوفوني لجنة
 ربي فرجني كل رايس نعرفله ميته

الرداسي:

"جايها حمى عطا الله"

نشهري في بنت القداسي	يلي زينها مارتاشي
نشهر في زهاير	زينها مارتاشي مثايل
واللي شبحها قعد حاير	متعذب منها مهناش
نشر في الخودة	بنتي تضوي كيف العنودة
ملا عراد هي سمحة	ماكيفهايشي
ننشر في دزاير	زينها مارتاشي مثايل
واللي شبحك قعد حاير	متعذب منك مهناشي
لبست اللمعة بنتي	تضوي كيف الشمعة
اللي شافك مكناته همعة	حتى سيطار ما قابلهاشي ²
مسمحها بصقلة بنتي	راعية على الدقلة
واللي شبحها غادي عقله	علبة فتشنا وما لقيناشي
ننشر في الخودة	هالسلسلة أم عيون سوداء

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيح من التراث اللواتي السوفي، ص: 23.

² - المرجع نفسه، ص: 27.

عرادة وهي ما كيفهاش نشهر في بنت القداسي

اللي زينها مارتاشي

- رحي " (بالزرنة في محفل)

حب العاشق فات شاهات ياباهي الرشات

وما دير مزية حواجبك لونين زي للي حسين

يحكم في البرين صباح وعشية

عيونك حريات كيما الجعبات الشحم مات

ما يشبح صنيات يا زين الخرطوم

ياخذ المشوم فزت قبل الصوم

وناسك حاسديه وصدرها تفاح اللي هبت لرياح

وقت الطيات فاح للعريس هدية

قصة فوق الجبين تحلى فيها العين

ميصور جبرين غفار السيه

حذك برلاح في الصحراء لوح

لاهت لرياح أمطار وبحرية

روح يا قصاب قصب غربي وهيا¹

- الظهر اوي: (يتهز بالصوت في الزرنة)

"يهتز بالصوت في الزرنة"

العرس بيغي الدويلة والخيل تبغي المشالي

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الولائي السوفي، ص: 29.

واللي خرج من القبيلة يرخص حتى كانه غالي
يا بنية عمي كواني داك
وحزامك مثل الجريدة¹
ما عرفتش منين نبدالك
باش نقلك أخضني جتني صعبية
على حمراء وزادواك وشمات
وطويلة وزدواك رق الحواجب
هذا اللي يقلك هلال ما بين زوز نجحات
من بسكرة ونايا ناقل الورد
حتان روس القناطر
لاي من رمضان صمته
ولاي من الناس فاطر
شهوات بالهذب
وكوتني مانيش داري
واللي عينه يتبع الصغيرات
ماهيش نعني الذراري
نرحل ولا نحمل الذل
ويزيني من كلام الزاري
وقلب بنادم كالواد اللي حمل
وفجع وخلي كان احجاره
ضحيت من ملح الرق

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الولائي السوفي، المرجع السابق، ص: 32.

وفجع وخلي كان احجاره

وضحيت من مولات لعصاب الرقيقة

وعمرها قرن تلحيق

وبارودها بلفظ بضيقة

حب النساء يلهوث الريق

وآنار رجال طبقة

وشيشة طيرلك نجوم

ماباش يروم المقيمة ثقيلة

كانه غضبان قله يرضى

كان طالب المقيمة ثقيله

هـ - فكاهايات:

"من تراث سوف"

العقلة يولي فاهم

يحللي عن الدراهم

يسكني في باريس

يحللي عن الدوفيز

مع الميقري نتفاهم

كي نتفكر كار لمعيز

ماذا تحلى بيها اللمسة

يحللي عن بوخمسة

مع العرب نتفاهم

نعلي بيها الدمسة

تطير عني الكشرة

يحللي عن بوعشرة

ما تخلنشي رام

تسكني في الدشرة

تطير عني الشر

يحللي عن العشر

مع العرب نتفاهم

وترد عني الخير

تطير عني الهم

يحللي عن الضم

توكلني اللحم	ما تخليشي رام
يحليلي عن الربط	كي نشوفها نتلعت
نتهز ونتخبط	مع الميقري نتفاهم
يحليلي عن ملخ	شوفولي حمى الجخ
بالورو عني يبخ	مع الميقري نتفاهم
يحليلي عن بوخنيش	خلتني بنخ ونين
يحليلي عن الدوفيز	تعيشني بلا حليب
هيا تجيللي النصيب	مع العرب نتفاهم ¹

أما عن أغنية غرود عالية تنتمي إلى شكل آخر من أشكال الغناء في الأدب الشعبي وهو القوال ثم أدخلها عبد الله مناعي إلى ما يعرف بالمول في السنوات الأخيرة.

الموال والغناء:

لقد صار الموال من بين فنون الشعر الشعبي، أكثرها انتشار على ألسنة الرواة وجمهور ذلك الأدب ولعل هذا أن هذا يرجع إلى أنه فن مختصر استخدم في شتى الأغراض وأذيع بالغناء أكثر مما أذيع سواه وبينما تزحف فنون المدينة وتراجع أمامها بعض فنون الأدب الشعبي، وخاصة الملاحم وقصائد القصص، فإنّ الموال يكتسب أرضاً في المدينة في الفن الحديث لا يزال الموال هو القالب: "الأغنية أو هو كذلك قالب القصة الشعرية التي تقد في الأسواق الريفية وفي محافل والسامر والموالد"².
أغاني الرثاء الدينية: جاءت تسميتها من كلمة "خمر" التي تعني أيضاً نسيان حال الدنيا وأغاني التخمير فن غنائي يحدث تأثيره الكبير في جمهور الأدب الديني، لأنه من ناحية الموضوع يهتم بقضايا حية تشتغل أذهان جمهور الأدب.

¹ - محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الولائي السوفي، ص: 37.

² - المرجع نفسه، ص: 75.

المبحث الثاني: اغنية الشعبية السوفية:

1- أغنية غرود عالية:

توطئة:

أغنية غرود عالية أغنية تراثية نجد جذورها في مخيلة المجتمع السوفي، وقد كانت ورائها قصة مثيرة وقد استلهمها "عبد الله مناعي" من التراث السوفي، وإنّ هذه الأغاني نظرا لقدمها قصتها وضعتها من أجلها لذلك فقد بقيت الأغنية لسهولة تداولها وسرعة هضمها وتردادها على ألسنة العامة.

- أغنية غرود عالية:

غرود عالية والموت فيها جاتي
 ما صبت ناسي ولا عرب زراتي
 أجلي تمت
 بي سرت لله وللخليفة تلمت
 لرض الصحيحة كيف عني صمت
 حيث ثايرة كان لخشب نطحتني
 لا نسيها
 ولاهي منامة ساهلة نخرسها
 كذب من قال كسوتها نلبسها
 يخشني الجهل ونقول لا لزميني
 كسوته شاربيها
 من السوق دافع فلوسه فيها
 حدر ملك طول ذراعته فيها
 حات وافية مليحة سترتني

طرت قبالة وني نفحتي طارت من الرجالة

سقطت دمعة الخد همالة

والسابقة من الخيل لردتي

قلبي حاير

ولا من حذايا نحدثه بغماير

جت ميتي بيان زوز سداير

لني مشيت ولا المدينة جاتي

يا الي ماشي

سلم غرد مثل الحاش

في ظنتي مازال ماوفاشي

على غرد والرجل مامشتني

يا غليا

شد الرصن والرحلة هيرية

أعقب عن قبري ديره أثنية

ني السيف بيض تربتي لاحتني

غرود عالية وموت فيها جاتي¹

¹ - تسجيل صوتي عن عبد الله مناعي، يوم 17 مارس 2018 عن الساعة 9:00 صباحا.

شرح كلمات الأغنية الشعبية غرود عالية:

1- شرح العنوان

الكلمة	شرحها
غرود	من كلمة غرد أي امتلاك مكان بالمجموعة من التراب يقول غرود مكان أي به كثنان رملية كثيفة ¹
	غرد عبارة عن صوت من الرياح الحارة التي تصدر في فصل الصيف من أعلى الرمال مرتفع أو ما يسمى "بشهيل" في وقت بن القيلولة بهذه ساعة 1:00 زوالا إلى: 3:00 مساء
عالية	عبارة عن كثنان رملية مرتفع تسمى غرود عالية تحمل مجموعة من رمال مرتفع جدا تصدر عنها صوت في وقت ظهير ²

غرود: جمع غرد وهو الكثيب الرملي المرتفع.

- الرصن: الحبل الذي يقاديه الحمل.

- غماير: جمع غمرة والغمرة عند البدو هي الفجيجة.

- الحاشي: هو صغير الحمل

- النجع: هو مكان نزول العائلة أو القبيلة في الصحراء طلبا الكلاء والنجعة.

- النجعة: يتكلمون حي صغير هو اشبه بالنزلة في مدينة³

2- شرح الأغنية من جانب ميداني (السياقي):

الكلمة	شرحها
غرود	مكان به كثنان رملية في أعلى السيف في الصحراء وأطلق عليه هذه الاسم حسب ما تقول موارد هو اصرار الصوت من رياح آخذ الرمال من مكان منخفض إلى مكان مرتفع ⁴

¹ - مريم عتير، من مواليد 1951 هبة الرقيبة بنت لخضر عتير 21 مارس 2017.

² - عائشة نوير، عن عمرها 80 سنة، هبة الرقيبة، الساعة 3:00 مساء

³ - بن علي محمد الصالح، يوم 26 مارس 2018 على الساعة 18:00 صباحا.

⁴ - مريم عتير، عمرها 50 سنة بنت محمد عتير، هبة الرقيبة، حرم عتير رضوان يوم 23 مارس 2018، الساعة 10:00 صباحا.

عالية	مكان مرتفع في الصحراء يطلق عليه به مجموعة من الرمال يطلح إلى مبيت في فصل الصيف يكن في الليل بارد عكس النهار يكون ساخن
جاتني	خرجت تلك الفتاة اثناء الموت
ناسي	أهل ذلك العرش أو أهل الفتاة
ولا زداتي	عرب بعد وفاة تلك الفتاة لربلحي احد لزرت عبرها من سكان عرش هذه الفتاة
أجلي تمت	انتهت حياة الفتاة بموت بقوة بسبب ما وقع لتلك الفتاة
خليقة تلمت	الجمع الغفير من الناس التفوا حولها أثناء الدفن.
لرضي صحيحة	دفنت الفتاة ما بين عاليتين ومكان كان صلب جدا عبارة وما بين السيف الاول والثاني ¹
صمت	تمسكت الأرض يقبل تلك الفتاة أي سكون الارض
ثائرة	نحوض الفتاة بعد دفن القبر
الخشب	في قدم كان سكان أهل البادية يضعون اقطع من خشب فوق القبر ثم يجمعون بوضع التراب من أجل حماية القبر من دخول التراب.
منامة	حلم الجل بفتاة هو نائم في الليل وهي تردد عليه الكلمات غرود عالية وموت فيها جاتي
نخرسها	نعطيها إلى آخر مقابل مبالغ مالي أو نبقي كتم تلك الكلمات التي قالت لي الفتاة وهو نائم
كسوة نلبسها	يقصد الفتان الابيض الذي لبسته وهي في القبر يقصد الكفن الذي عوض تلبس الفستان الابيض لبست الكفن
كسوتها شربها	يقصد اللباس الي أحضر لها بعد الغياب
طول ذراعه	يقصد ييتها حتى إلى أذرعها
نفحتي	عدم رغبة الفتاة في الرجال بسبب ما وقع لها

¹ - عامر فايذة، هبة الرقيبة، 25 مارس 2018، ساعة 4:00 مساء.

دمعه	البكاء الكثير هي وأمها بعد قوع الشنيعة اللائم التي وقعت لها ¹
قلبي حاير	تقلق الفتاة طول تلك الأيام
بغماير	أي قصتي التي تهتمت بها في شرفي
زوج سداير	أم الفتاة وهي ما بين اثنين ابنتها وأبوها وأخوتها وأهل العرش
غرد	تقصد ابنها الذي تركته بعد الوفاة وهو صوت صغير الأبل الحاشي
الحاشي	نوع من الأبل الصغير عمر لا يعرف شيء
شد الرصن	الرصن: هو الذي يقود منه الأبل والجمل
الراحلة	هم أهل البادية الذين يرحلون من مكان إلى مكان
أعقب	مرة على قبري
ديره ثنية	امشي عني أو هي حتى يصبح لديه طريق ما بين القبر والنجع النجع: عرش تلك الفتاة
السيف الايض	تقصد مكان الذي دفنت فيه الفتاة أو ما يسمى بالغرد العالية مكان مرتفع به كثنان الرملية في الصحراء (التراب الابيض) ²

تحلل الكلمات من الناحية الدلالية (معجمية)

* تحليل العنوان

الكلمة	تحليلها
غرود	غرد الطائر والانسان كفرح وغرد تغريدا أو تغريد إذا صوت وطرب به في الصوت والغناء والتغريد: صوت معه بحج وقد جمعها امراء القيس في قول يصف حمارا: يغرد بالأسحار في كل سرحة... تغرد صريح الندامى المطرب قصور غرد بالكسر قال الاصمعي. التغريد: الصوت وغرد الطائر فهو غرد على النسب قال ابن سيده: وغرد: آراه متغير من غرد. قال الليث: كل صائب طرب الصوت فهو غرد والتغريد منه قال سويد بن

¹ - عائشة نوير، عن عمرها 80 سنة، هبة الرقيبة، الساعة 17:00 مساء.

² - ربح احمد، حرم سعد احميد، شرقي الرقيبة، عمرها 70 سنة، بتسجيل يوم 25 مارس 2018، على ساعة 17:50 مساء.

<p>كراع العكلي. إذ عرفت دوايه مد لهمه... وغرد حاديهما قرين بها فلقا وحكي الهجرى: سمت قمريا فاغرديني أي اطربني يتغرد ويقول: كل مصوت مطريا بصوته مغرد وغريد كسكبت وغريد كامير أو حذير. قال الهلي: يغرد ركبا فوق خوص سواهر... بها كل منحيات القمص سمردل وفيه دلالة على ان تغير يتحدى كنعدي بعني وقد يجوز ان يكون على حذف الجار واىصال الفعل واستفرد الروص الذياب: دعاه بنغمته هكذا بالنون والعين عندنا في النسخة وفي غيرها من النسخ بالعين المهملة أي نضارته إلى أن يعني ويغرد فيه وروص مستغرد: ¹ ناعم الغرد بتحريك: التطريب في الصوت والغناء يقال: غرد الطائر فهو غرد والغر يد مثله، ² العجز يدو وقد جمعها</p>	
<p>عالية مادة على (مفرد) ج عليون وعليه: هدفه مبنية تدل على الثبوت من على/ كلي على: مرتفع رفع المكانة وسامي القدر، علل مرتفع على نظراته (ورفعناه عليا) العلي: اسم من اسماء الله الحسنى ومعناها رفيع القدر الي لا رتبه فوق رتبة ولا يثوده حفظها وهو العلي العظيم ³</p>	
<p>الموت م و ت الموت ضد الحياة مات يموت يمات ايضا فهو ميت وبين داو محففا وقوم موتى وميتون وميتون مشداد ومحققا ويستوى عنه المذكر والمؤنث قال تعالى: " لنحيا به بلدة ميتا ولم يقل ميتة والميته ما لم تلحقه الذكاء والموات بالضم والموت والموات بالفتح لا ملك روح فيه والموات أيضا بكفن الأرض</p>	

¹ - الزبيدي (محمد المرتضى) تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، مطبعة الخيرية، المنشأة الجمالية، ط1، 1406هـ، 1987م مادة غرد، ص: 342.

* الغرد بالتحريك: التطريب.

² - الرازي (من بن أبي عبد القادر) مختار الصحاح، دار الكتب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، مادة غرد، ص: 343.

³ - مصطفى إبراهيم، معجم الوسيط، معجم اللغة العربية المعاصرة، مطبعة مصر، ج2، 1960م، ص: 29.

<p>التي لا مالك لها ولا ينتفع بها احد والموتا بفتحيتين ضد الحيوان يقال أماته الله موة أيضا وتماموت من صفة الناسك المراني¹</p>	
<p>لا صبتي ناسي لا: كلمة وظيفية حرف نفي يكون جواب عكس لنعم هل جاء الطيب فتقولوا: لا نسي فلانا: نسي، اشتكى نساها فهو سن وهي نسبة من انسى وهي نساها والشيء سناوه وتساؤل ونسيانا تركه ولم يعه فهو ناس ونساء وهي مناسبة ونساءة وهو هي ينسى أيضا أنساها الشيء: حملة على تركه أو على انساينه إلا الشيطان أن أذكره (ناساه الشيء: أنساها اياه لا يقال: ناسا العداوة، نسا: التنسي أنساها نسوان ونسيان ج أسناء السنا جمع امرأة من غير لفظه (النسوة) الجرعة من لشراب ويقال سنة من لن السنة والنسوة النساء (النسوان النساء السيان)²</p>	
<p>عرب لا عرب زراتي عرب وبه مفردة: اسم مؤنث منسوب إلى عرب على غر قاس صورة/ فتاة عاب به³</p>	
<p>آجلي التمت حلي: مفردة: مصدر رجلي حلي: مفرد: صفة متنتهية تدل على الثبوت من جلا: من الواضح مما لا يحتاج إلى بيانا التمت: اهله الجوهري وصاحب اللسان، وقال ابن وريد هو بنت لا توكل تصريحه هكذا في النسخ وفي التكملة: ضرب من الثبت وله امر يوكل⁴</p>	
<p>خلقت تلمت خ ل ف: الخلق التقدير يقال خلق الأديب إذا قدرة قبل القطع وبابه نصر والخليفة الطليعية والجمع الخلائق والخليفة أيضا الخلائق يقالهم خليفة الله وهم خلق وهو في الأصل نصدر الخليفة القطرة وفلان خليف بكا أي جد بربه،</p>	

¹ - الرازي (من بن أبي عبد القادر) مختار الصحاح، مادة م و ت، ص 17.

² - مصطفى إبراهيم، معجم الوسيط، مادة نسي، ص 12.

³ - مصطفى إبراهيم، معجم الوسيط، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة عرب، ص 28.

⁴ - الزبيدي (محمد المرتضى) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة خلق، ص 18.

<p>ومصنعه مخلقة وخلقه اقتزن ومنه قوله تعالى: "وتخلقون افكا" وخلق سكون الأم وضعها السمية وقوله تعالى: "لا خلاق لم في الآخرة" وملحفة خلق وثوب خلق أي بال يستوي فيه المذكر ومؤنث¹</p>	
<p>صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا سكت وأصمت مثلذذ والتهميت: التسكين والتصميت أيضا السكوة ورجل صميت أي سكيت. الصمته: مثل السكته ابو زيد: رميته بصماته ساكته أي بما صمت به وسكت ويقال فلان على صمت الأمر اذا أشرف على قصائد وباب من القوم على صمات أي بمرأى ومسمع في القرب. قال الشاعر: وحاجة نمت على صماتها أي كنت على شرف منه إدراكها. وتقول: ما له صامت ولا ناطق فالصامت: الذهب والفضة والناطق، لآبل والغنم أي ليس لدى شيء والصامت من اللين: الحائر والصموت الذرع التي اذ صمت لم يسمع لها صوت. أبو عبد: المصمت الذي لا يخالط لونه لونا آخر²</p>	<p>عني صمت</p>
<p>بدر الخشب انطرح خشبا خلطة ويقال خشب الشيء بالشيء والسيف طبعة وشحد فهو محسوب وخشن والنبيل والقوس عملها العمل الاول ولم يتألف فيها والشعر أو كلام أو العمل: عمله كما جاءه ولم يتألف فيه خشب خشبا غلط وخشن ويقال خشن العيش فهو حسب وآخشن وهي خشمة وخشبا، (ج) خشب، إختشب السيف والستعر خشبهما (تخشب) الأبل: أكلت اليبس من مرعى (الخشوش) صار صلبا خشننا. نطرح: من باب ضرب وقطع وإنتطحب³</p>	<p>الخشب نطحتني</p>
<p>ر، ه، ن: الترهيب المحكم الثابت وقد رصت من باب ظرف الاصمعي: رصت الشيء آرهنه رهنا: أكملته وأراهنه أحكمته والمرهن: المحكم الثابت،</p>	<p>الرهن</p>

¹ - الزبيدي (محمد المرتضى) تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، مادة خلق، ص 37.

² - الرازي (من بن أبي عبد القادر) مختار الصحاح، مرجع سابق، مادة قسم، ص 33.

³ - مصطفى إبراهيم، معجم الوسيط، مرجع سابق، مادة خشب، ص 7-12.

وقد رهن بالضم رهانة الرصيان في ركبة الفرس: اطرف القصب المركب في
الرهفة وفلان رهين بحاجتك أي حفي بها وهينته بلساني رهنا، تشمته ورجل
رهين الجوف أي موجه الجوف ابو زيد: رهنت الشيء معرفه أي علمته¹

2- البنية الإيقاعية في أغنية " غرود عالية:

البنية الإيقاعية:

– **الوزن:** الوزن ظاهر طبيعة للعبارة مادامت تؤدي معنى انفعاليا فقد ثبت في علوم الإنسان أنّ الإنسان حين يملكه الانفعال تبدو عليه ظاهرات جسمية عملية كاضطراب النبض وضعف الحركة وقوتها وسرعة التنفس، حركة الأيدي قبضا وبسطا وهذه نفسها دليل على ما في النفس من قوة أن تكون موزونة ذات مظاهر لفظية متباينة لتلائم معناها وتكون صداه الصحيح.

ويتميز الشعر الشعبي عن الشعر الفصيح بأنه لا يتبع عمود الشعر العربي، فالشعر الشعبي يستخدم في فنونه أوزان شتى ولا يراعي فيها إلا الانسجام مع الموسيقى والغناء، فالشاعر لا يؤدي إلا غناء وبمعنى أوضح أن هذا الفن لم يؤلف ليقرأ بل ليغنى وينشد، كما أنّ الشاعر لا يغفل ملائمة تلك الأوزان لمعانيه وأفكاره التي يضمنها هذا الفن للمعنى، وقد ذكر أن الفنون الشعر الشعبي (سبعة) وهي الموشح والديب والزجل والمواليا ومكان كان والقوما، إن كنت لاحظت أنّ مدارج منها فيها البيئة الصحراوية وخاصة السوفية منها هو الموشح والزجل.

وخلال دراستنا للأغنية الشعبية في الجنوب الجزائري وجدت أن بعض الباحثين يميل إلى عدم جعل الموشح فنا شعبيا يقول أحمد درويش عندما تكلم عن الموشح أنّه: ((منظوم موزن مقفى ويصير لغيره على طول الدوام ويتنوع عن غيره بقبول اللحنقية، فإذاً ليس يعيب فيه ويميل الأعراب))². يقول الدكتور إبراهيم انيس: يذكر أنّ الموشحات قد قربت بين الكلام العامة ولغة خاص، وقد تغلغت فيها لغة العامة تدريجيا حتى نشأتها فنا قيما بعد ذلك النظم الشعبي الذي يؤدي بالزجل.

¹ الرازي (من بن أبي عبد القادر) مختار الصحاح، مرجع سابق، مادة رصت، ص24.

² عبد القادر نظور، محمد العيد تاورته، الأغنية الشعبية في الجزائر، رسالة دكتورا، تخصص الادب العربي الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 1429هـ

– 2009م، ص: 165.

وبعد محاولتنا وضع الرموز لعينة من أبيات أغنية غرود عالية لا حضنا عدم انطباق البحور (الطويل، البسيط، الكامل) على الاغنية الشعبية "غرود عالية".

الوزن في "غرود عالية": هو من أهم العناصر التي يقوم عليها بنية الشعر والوزن:

- أ- مقطع قصير: هذا المقطع مكون من حرف متبوع بحركة مثل: م، رس
 ب- مقطع طويل مفتوح: مكون من حرف وحركته وحرف مد: ما، مي، مو
 ت- مقطع طويل مغلق: مكون من حرف وحركة وحرف ساكن ليس بحرف مد مثل: من، فل، سر

ث- مقطع متداول: ويفصل تسميته يا لمقطع الأكثر طولاً، وهو مكون من حرف وحركته وحرف مد وحرف ساكن مثل: هام ظال¹

ج- ونجد في أغنية غرود عالية مجموعة من مقاطع

ح- مقطع قصير: أحلى تمت، يا غاليا، طرت قبالة

مقطع طويل: غرود عالية والموت فيها جاتي ما صبت ناسي ولا عرب زراتني نوعه

مفتوح: زراتني ، جاتي

خ- مقطع متداول: غرود عالية وموت فيها جاتي.²

غرود عالية والموت فيها جاتي

غُرُودٌ عَالِيَاً وَلُمُوتٌ فِيهَا جَاتِنِي

0/00/0///0//0/0//0/0//0

- ما صبت ناسي ولا عرب زراتني

مَا صُبْتُ نَاسِي وَلَا عَرَبُ زَرَاتِنِي

0/0//0/0/0/0/0/00/0/

- أجلي تمت

¹ - أحمد قنشوية، البناء الفني في القصيدة: الشعبية الجزائرية، دار سنجاق الدين للكتاب، د.ط، ط:1، ماي 2008، ص: 107.

² - مصدر السابق، سامية مهدي، رواية غرود عالية، ص: 55.

- أَجْلِي تَمَمْتُ

0/0//00/

بي سرت لله وخليفة تلمت

بِي سِرْتُ أَلْأَلَكُهُ وَ حَلَيْقَتَهَا تُلَمَمْتُ¹

0/0/00/0//0/0/0/00/0/

- القافية: هي نفسها الروية في مرتكز ثفل في البيت والعنصر البارز في إيقاع ودلالته

الشعرية قال العرب القدماء: إنَّ الشعر هو كلام موزن المقفى².

- تطبيق مصطلحات عروض على الاغاني الشعبية يقودنا إلى إثارة جملة من قضايا

المتعلقة بطبيعة الاغنية الشعبية "أغنية غرود عالية"

- وجود نمط الذي يستند إلى اللغة الدارجة غير العربية، كلمات من أغنية "غرود عالية

باللغة الدارجة

جاتني، أجلي، اتلمتجيت، نيّرة، انخرصها، كسوته، سترتني، نفحتي، بغمايرة، زور سداير، ماشي،

وفاشي، شد الرصن، ديره ثنية.

الأمر الذي يعوق ظاهرها من ناحية الحركات وكذلك الكتابة الكلمة³.

- الموسيقى واللحن:

الأغنية الشعبية السوفية من حيث النص عبارة عن كلمات مقفاه تغلب عليها اللغة المحكية.

أي اللهجة العامية يكسرهما اللحن الموسيقي البسيط الرشيق، نصوص الأغاني الشعبية جزءاً هاماً من

الشعر الشعبي إذ أسقطنا من حسابنا القافية التي تميز الشعر عن غيره من أنواع الأدب كل الصيغ

الآخر، فهي غنية بالاستعارات والكنائيات والصور البيانية، الجملة ومكتفية كلمات بسيط، فالأغنية

¹ - سامية مهدي، أغنية غرود عالية، المرجع نفسه ص: 53.

² - أحمد قنشوبة، البناء الفني في القصيدة الشعبية، مرجع السابق، ص: 121.

³ - رواية سامية مهدين غرود عالية، المرجع نفسه، ص: 56.

الشعبية السوفية هي التزاوج العبقري بين الكلمة واللحن ك: غرود عالية والموت فيها جاتني، الذي تتميز به البناء اللحني البسيط لكي يجد طرقا سهلة بين الناس العامة¹.

العاطفة:

الألوان العاطفية في الأغنية الشعبية السوفية متباينة ومتقاربة من حيث الاغراض ومتقارب لأنها نابعة من مصدر واحد متمثلة في العقيدة واللغة، كما أنّ العواطف الكبرى تشترك بين كافة أبناء المنطقة كالعاطفة الوطن في أغاني الوطنية والعاطفة الإنسانية التي يستخدمها عامة الشعب تكون قريب مما يسمى بالضمير والعقل الجمعي².

فأغنية غرود عالية غالب عليها العقل الجمعي التي لازالت مرسوخ في عقول الشعب السوفي إلى يومنا هذا وتعكس القيم والعادات والروابط إجتماعية التي تحكمها روابط جغرافية وثقافية نفسية وتنظيمية، فالأغنية غرود عالية تعكس عادات وتقاليد هذه العرش بصفة خاصة وعادات وتقاليدها فهي منطقة لصفة العامة كالقضية الشرف، وعدم دخول الغريب وتزويج الفتاة من غير ابن عمها كلها عادات لأنها صلة روابط وتنظيمات إجتماعية، ففي كلمات الأغنية لاحظنا علاقة تأثيرية بين المعني والأغنية والمجتمع السوفي ككلمات معبرة عن الحزن والاسي والألم تقول الاغنية:

الموت فيها جاتني

لا صبت ناسي ولا عرب زارتي

أجلي تمت، في سرت الله

والخليقة تلمت

وغيرها من كلمات معبرة عن الأسي والحزن³.

¹ - رواية سامية مهدين غرود عالية، المرجع نفسه، ص: 55

² - عبد القادر نظور، محمد العبيدي ثانوية دراسة دكتورا، ص: 166.

³ - سامية مهدي، المرجع نفسه، ص: 56.

2- البنية الفنية الجمالية لأغنية غرود عالية:

من خلال مدونة الرواية "غرود عالية" وجود مجموعة من الصور البيانية والجمالية في نص هذه الأغنية حيث تقول:

يالي ماشي

سلم على غرد مثل الحاشي

- الغرد: مشبة

- مثل: أداة التشبيه

- الحاشي: مشبه به

*تشبيه بليغ: أعقب عن قيري ديره أئنية¹.

*وقد نجد في نص الأغنية مجموعة من التعابير المجازية منها تقول الأغنية:

في ظني مازال ماوفاشي

على غرد والرحل مامشني

هنا مجازمة جزء من الكل

*هناك مجموعة من الكنايات في نص الاغنية نجد:

- طرت قبالة: كناية عن صفة

- ماصبت ناسي ولا عرب زارتي: كناية عن نبذ

- ونيا نفحتي طارت من الرجالة: كناية عن السرعة

- قلبي حاير: كناية عن سرعة

- لي السيف لبيض لرتني لاحتني: كناية عن النبذ.

أما عن الاستعارة نجد في نص الأغنية: تقول الاغنية:

-كذب من قال كسوته نلبسها

¹ - رواية غرود عالية، سامية مهدي، المرجع نفسه، ص: 56.

يخشى الجهل ونقول لا لزمي

هنا استعارة مكنية حيث حذف المشبه به وتراك ما دال عليه وهي كلمة تعني "الجهل"

- ونيا نفحتي طارت من الرجالة: استعارة مكنية شبه الرجال باطائر حذف المشبه به وترك ما دل عليه: طارت.

- غرود عالية وموت فيها جاتي استعارة مكنية شبه الموت بالإنسان الذي يأتي حذف مشبه به ترك ما دال عليه: "جاتني"¹

¹ - سامية مهدي، رواية غرود عالية، المرجع السابق، ص: 57.

الفصل الثاني

قصة الأغنية الشعبية غرود عالية

المبحث الأول: تحليل قصة أغنية غرود عالية ودلالاتها

- توطئة

- ملخص القصة

- السرد والوصف في القصة

- العلاقة المتبادلة بين السرد والوصف

المبحث الثاني: المرأة والمجتمع السوفي في قصة الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية

- توطئة

1- قصة الأغنية الشعبية غرود عالية عرش القطاطية ووصف مكان عيشهم.

- تعريف الرمز

- تعريف الدلالة

- اللباس

2- العادات والتقاليد والقيم والأعراف

المبحث الأول: تحليل قصة أغنية غرود عالية ودلالاتها

توطئة :

لكل أغنية قصة و معنى ذلك ان القصة ذاهبت و نسيتهها الناس و بقيت الاغنية متداولة و متردد الى يومنا هذا على الساناه الناس، و حتى بعض القصص التي نعر عليها و التي تنسبوا الى أغنية معينة ، فإن المرء لا يستطيع ان يخرج منها بنتيجة إجابيه فهي اما إنها لا تتناسب و الاغنية ، حيث نجد ان الاغنية في واد و القصة المنسوبة اليها في واد آخر الان قصص تمحورت كثير و تبدلت و صارت مع الايام لا تنطلق على الاغنية تمام الانطباق، واما الاغاني التراثية سارت تروى حولها عدة قصص، و كل راوية تختلف عن الاخرى في أحدثها اغراضها ، ولعل قصة غرود عالية هي الوحيدة التي تتضارب حولها الروايات و الحكايات و القصص الكثيرة لذلك سنعرض قصتها فيما يلي:

1- ملخص قصة الأغنية الشعبية غرود عالية:

نسجت أحداث القصة في صحراء سوف الشاسعة أبطالها هي: البنت العفيفة مريم بنت فاطمة القطاوية و خليفه، هي قصة واقعية خلف الزروب (سياج الجريد) كانت مريم متجهة يوماً لكي تقدم الطعام و الاعلاف للماشية ولكي تشاهد بعض غروب للشمس فوق السيوف الرملية الذهبية، كانت مريم البنت المهذبة ذات الاخلاق العالية تمشي في استحياء بعدما شاهدت المغيب، لكن شاءت الأقدار أن تكون هاته الوقفة في هذا اليوم ليست كباقي الايام.

كان هناك شاب يدعى خليفة يركض طوال اليوم خلف فنك يرغب في اصطيداه، نال منه التعب أيما نال حيث لم ينتبه قدماه قد طالت مشارف الزروب.

وهنا كانت الحادثة فوق مريم من الأعلى نحو الأسفل مصطدم بها دون أن يراه.

حادثة عمرها لحظات تساوي طرفة العين كانت كافية لإشعال فتيل العداوة بين النجعين وكذلك التحريض من القبائل المجاورة للبدو وهم من يتقاسمون نفس العادات والتقاليد والدهنيات والتعصب.

ظلت القبيلة في حالة غليان لمدة شهرين إلى أن قرر مجلس الكبار للنجع أن يضعوا حل إلى هذه القضية وعزموا على استشارة رجل حكيم المعروف لديهم "دبار"، فقرر عليهم بعدما طرحوا عليه القضية بأن يتم التصاهر بين النجعين، فعاد خليفة بعد فراره الذي طال أيام وشهور لكي يبرر موقفه لأهل مريم، فقرر أبوها أن يزوجه إياه¹.

تم زواج خليفة من مريم بدون عرس كما عهد النجع لا عزائم ولا ولائم سواء الزغاريد النسوة، مرت الأيام عن الزواج، فقرر خليفة السفر أن يهاجر لبلاد الحظر لكي يشتغل ويحسن مستواه المعيشي ولكي يحضر العديد من الهدايا لعشيرته وحبيبته مريم من حلي وهي تحمل تأخر عودة خليفة إلى الديار فبدأ قلق مريم وهي تحمل في أحشائها ابنة ومرت الأيام والشهور واشتد البلاء والضعف في جسم مريم يوماً بعد يوم إلى أن جاء يوم ميلاد مريم واشتد بها المخاض فاجتمع النسوة حول مريم في الخيمة ومعهم إحدى النساء الكبار الخاصة بالتوليد نساء النجع، اشتد ألم المخاض وبقت مريم في حالة من التعب والعرق يصب عليها كلها وتارة تغفو وتارة تصحو إلى أن سمع نجع زغاريد النسوة فارحين بقدوم المولود الجديد.

ظلت مريم على حالة ضعف والنزيف لم يكف هو الذي جعل حالتها تسوء وفي صبيحة مشمسة دافئة ودعت النفساء الحياة بابتسامة، وعم الحزن خيامهم وحرقة، وبقي خليفة وحيداً يبكي مصابة الجلل وفي أوان العصر نقلت جثة الفقيدة إلى إحدى الغرود العالية ودفنت هناك في مكان خال وسط السيوف المتلاصقة، مر أسبوع من الزمان قرر بعدها الربع هجرة المكان الأبد ومن أبرز

¹ - سامية مهدي، رواية غرود عالية، ص: 1-12.

عادتهم أن يهاجرون المكان إن توفي فيه فرد فيهم تشاؤم من الموضع، وكان خليفة يذهب إلى قبر مريم كل يوم ويحمل في يده ابنه ويروي له قصة ومأساته على فقداها¹.

قصص وحكايات كثيرة نسمعها عن الحب فستحيل أو زواج مفروض أو نواح أم من خلال تجوال الفوال عبر الشوارع أو عن طريق الموالم الذي يؤديه المطر عند كل حفل قصص تعددت في وصفها الخيال وأساطير لا يقوى على تصديقها العقل، لا يصمنا إن كانت من الواقع أم من نسج الخيال لأنها جميلة معبرة ومقنعة رغم قدمها إلا أنها لازالت تردد في المجالس

والأعراس ويشغلها أهل الفن في امتناع الحضور، وأما عن حكاية الموالم والقوال "جاء في مجلة المهرجان على لسان الدكتور "أحمد زغب بأن الكثير من الأغاني التراثية تتميز بمدخل نثري موجز نفتح به الأغنية، فيؤديه المغني بإحساس كبير يثير انتباه السامع إليه وهو ما يسمى بالموالم.

الموالين أغلبها قديمة تعكس تجارب حقيقية لأصحابها ومردديها، فاكتمبت شعبية كبيرة لما يلمسه الناس من صدق في مضامينها، والموالم في غالب لا يقبل التلحين بل إن العديد من الفنانين عجزوا عن تلحينه فاكتمفوا بأدائه قولاً لا على شكل مقدمة لبعض الأغاني ويغلب عليه الحزن والأسى، يحكي قصص اجتماعية وأحياناً عاطفة حدثت في زمن مضى، ومثل الموالم مثل الأغاني التي تحقق أغراض اجتماعية وأخلاقية في صورة موجزة ومعبرة وإذا كان بعض الفنانين يوظفون المواصل في الأفراح والمناسبات، فإنّ هناك مواصل لا تصلح لمثل هذا الموقف، فكنا نسمع لموالم "غرود عالية" يردده الفنان عبد المناعي في العديد من المناسبات زعم هذا الموالم بذاته يحكي مأساة إنسانية حقيقية عاطفية كما شائع في التراث الغنائي السوفى.

وصاحبة هذا الموالم مريم بنت فاطمة القطاوية جاءت القصة في شكل أبيات قصيدة ثم حولت في شكل أغنية ثم خرجت في قالب روائي، فصاته القصة تعدد أشكالها.

ظلت مريم كل ليلة تأتي لزوجها في كل ليلة تلقي عليه عبارة جديدة تلقي فيها لومها وحزنها على الجميع وترثي نفسها بنفسها.

¹ - سامية مهدي، رواية غرود عالية، المرجع السابق، ص: 17-20.

وتبقى الغرود العالية هي أنيستها الوحيدة بعدما تخلى القوم عنها وهي تنام في أحضانها لسنوات بعد مأساة عاشتها طيلة شبابها تذكرها قصيدتها الشهيرة لا تزال أبياتها شاهدة ليومنا هذا تقول فيها:

غرود عالية والموت فيها جتني
لا صبت ناسي ولا عرب زارني
أجلي تمت ني سرت لله والخليفة اتلمت
الأرض الصحيحة كيف عني حمي
جيت ثائرة كان الخشب نطحتني
لا نسيتهها ولا هي منامة ساهلة انخرمها
كذب من يقول كسوته نلبسها.....الخ¹.

تندم فيها الحلول وسحر النساء في القبيلة وجمالهن بسبب مباشر لوقوع الفاجعة وهنا الشرف بدأ يغادر تدريجيا خيامهم ففشاء خبر الاعتداء على حرمة بيت حلت العداوة والتعصب القبائلي ومطالبة بالثأر فلم توفق مريم هذه المرة في اختيار الزمن المناسب للخروج من الخيمة والابتعاد الخطوات أخذها سهوا خارج أسوار الزروات".

2- السرد ووصف:

مريم تلك المرأة الرقيقة والمهاتمة، يشهد لها نساء العرش بالرصانة والطاعة والاحترام وتولي للمحيط الذي تغيب فيه لأسرتها والأخوة رجال ترعرعت بينهم وكانت مواعيد خروجها ودخولها إلى الخيام تخضع لاستشارة وإعلام أهلها كلما همت بذلك أما بالنسبة لكلاء الماعز والابل بجوار الخيام فهذه تعليمات صارمة، ها هي تتهيأ للخروج كعادتها بعد ما أخذت الإذن من والدتها، فاطمة فنراها تحمل الأعلاف وبعض الحلفاء لتطعم الماشية.

¹ - رواية غرود عالية، سامية مهدي، المرجع السابق، ص: 50.

على الرمال في الجهة المقابلة رجل ذو بنية قوية مزج لونه بين الحمرة والسمره حتى يوصف بالبشرة الخمرية اللون، تجده يتنقل بخطى متباعدة من مكان إلى آخر بخفة ورشاقة، على رأسه قطعة قماش صفراء فاقع أشبه إلى لون الرمال، كأنها يتهيأ لعمل شاق، يصارع كئيبان بخطوات وعرة ومتبعة وأخذ هذا الرجل ذو العينين الثاقبتين ينتقل من مكان إلى آخر وعينه تارة على سفوح وتارة على الأفق البعيدة يبحث عن شيء فقدته بخطى هادئة بعدما وضع جاثيا لغلة مصنوع من الجلد والوبر وما يسمى بالعفان¹.

ومضى حافيا حتى لا يعيق تحركه السريع خلف صيده الذي جرته قدماه إلى مشارف "الزروب" وقضى فترة الظهيرة إلى حين المساء ويركض خلف فنك يرغب في اصطياده.

3- العلاقة المتبادلة بين السرد والوصف:

كانت مريم قادمة خلف الخيام بعدما أكملت مهمتها مع الماشية، متجهة نحو أعلى الزروب لتشهد غروب الشمس أمر تعودت عليه دائما قبل المغيب قبل العودة إلى الخيام تلك أقدام الناعمة المثقلة بخلاخيل من فضة، تلامس السيوف الذهبية باستحياء وتمايح وتمشي أميرة الصحراء حتى مرتفع حدود الجريد لتودع يوما آخر.

تغزلت نسيمات العشية في سواد الشعر وهو يتوزع بنعومة على الهواء والحلي الذي يحتل مساحة شاسعة من جبة معزى، وعلى سواد الأهداب الذي يبعث الفتنة وهو يجيئ جزء من نسيمات حاملة كلما رق طرفها، وكأنه بها تلقى بغمزاتها المعتاد على الغروب وتذكرة بموعد الغد، ثم همت بالعودة ترفع بيدها جزء من الحولي كي لا تتعثر وهي تعير الجريد وخلخال بوعرضين يعزف مقطوعة الوداع، همت فاتنة الغروب بعبور الجريد والساق اليسرى تسيق اليمنى نحو الداخل، وإذا بصدام عنيف يلقي بها نحو الأسفل على الرمل متدحرجة وجسدها يتكور في التراب، حتى انتهى بها الأمر إلى أسفل السيف

¹ - سامية مهدي، رواية غرود عالية، المرجع السابق، ص: 22.

* العفان: هو عيرة الجورب من الوبر يصنع من وبر الابل.

وهي ترجف من الملح والخوف، ثم قامت واتجهت بسرعة إلى خيامهم تحتبس أنفاسها تحاول في ذات الوقت مرارات الذي شق أسفله كي لا ينتبه أهلها لثوب الممزق¹.

لقد أوقع خليفة مريم إلى داخل قرب خيامهم بعد أن اصطدم بها وهو قادم من أسفل السيف بتجاه الأعلى بخطوات تكاد ترتفع على الرمال لشدة الحذر لكي يصيد فريسته، وهو الذي لم يدنوا من حدود الخيام وحرمة أهل البيت ولم ينتبه حتى للفتاة الشابة التي بلغت حدود الجريد في ذات التوقيت نهض خليفة بسرعة البرق وكأنه اعتدى عمدا على جسد المرأة الذي ألقاه بقوة طريح الرمال. توقف ذهن الرجل للحظات واختلط الأمر عليه هل يفر خوفا أو يتوقف و ينتظر العقاب.....، تراحم الخوف والعقاب ثم استفاق فجأة وهمّ بالنأي والفرار قبل أن يراه أحد، وهنا تبدأ العداوة بين تلك العروش، المسكين وبخطوات مرتجفة يبتعد شيئا فشيئا عن الحدود الخيام بينما الحادثة لم تحل من شهود السوء ممن يهونون الفن ويثران العداوة، فكان سوء الحظ له وحسن حظهم أن اختارهم لزمان ليكونوا شهد على ما وقع ليروا ما يريدون ويخفون حقيقة ما يروون وهناك أسباب أخرى بين قبيلتين التلاسن سبا ولإلقاء التهم والسطو سبا وعدم دفع الديون بسبب آخر والتحريض من قبائل مجاورة وهم يتقاسمون نفس العادات والتقاليد والذهنيات والتعصب ذاته، فجرتها حادثة التصادم بين خليفة ومريم اللذان اصطدما على مشارف الزروب عند احمرار الشمس العشية، هذا هو نفس الشاب الذي رفضت عائلة الحاج بشير مصاهرته لأنه من بدوى بعيدة، العرف السائد هو أنّ العائلة لا يتزوجون إلا من أقاربهم، طلع الصباح هنيه وهو يتباهى ويتطير حباب الرمال، تنسقاها نسيمات خفيفة كانت نبتت بأطراف خيام الوبرية وهي تتمايح على أعمدة الخشب المتمسكة بعمق الأرض صامدة في وجه الريح والبرد ووحل السموح².

بدأ النشاط وبدأ أهل البدو وأعيان الربع وسادتها وكبارها يتوجهون إلى خيمة شاسعة يتجمعون فيها كعادتهم كل صباح وهو مكان الذي يقصده الثل والشاكي لتداول الحديث والتدابير وشؤون الربع، استبق الحاج بشير (والد مريم) كعادته المشايخ وجلس داخل الخيمة قبل أن يصل

¹ - سامية مهدي، رواية غرود عالية، المرجع السابق، ص: 26.

² - المرجع نفسه، ص: 30.

الجميع وكان هناك شيخ النبيل يرد السلام بين الحين والآخر على المارة وهو الذي يعرف بالشدة و الرصانة وكلامه الحكيم، والوجه مجعد دائم الابتسامة، يحك رأسه المشيب بين الحين والآخر، يوصن هندامه الأبيض ومعروف بالجبة لديهم، جلس ذلك الشاب البأس لئيم لم يفصح عن هويته وشرح في سرد ما رأى يروي حادثة مثقلة بالأكاذيب، والتهم لم يترك مجال للصمت ومتحدث عن عرض والشرف والتحريض على الاقتصاص من المجرم الذي انتهك حرمة بيته في غيابه وجهة يتماوج الحمرة والسواد بعد ذلك سمعه من الراوي في هتك عرضه وسط مجمع كبار النجع صاح مناديا في أبنائه حامد، محمد، عبد الرحمان، والهلالي، هو في لحظة بصر حضر إلى جواره أبنائه أربعة شبان غلاظ ذو قامات طويلة، عشريني وثلاثي، طباعهم بين الحدة والرصانة والتهور والطيش وعلامات الاستفهام تقرأ في عيونهم كيف مضت ليلتهم دون علم ما حدث إنَّها العاصفة لم تعصف قبل في النجع وبات الصراع على أشدو والشبان والأهل والأعمام والجوار في حالة غليا يتحنون بعضهم بضرورة القصاص، أما الشاهد فقد غادر الجلسة دون أن ينتبه الجمع لذلك لأنَّ سلوكيات الفتن لا تصدر إلا من ناقص، لقد نشر هذا المخرض شهادته المزورة¹.

اختفى في أفق الصحراء شاع الخبر وأصبح بين النساء اللواتي صرن يحكين القصة على هواها بين التعاطف والشماتة والغيرة لدى النساء جانب كبير في مغامرات الحادثة. في غمرة مخاوف ممزوجة بالخوف والرعب تبكي مريم في وجه أمها التي تبكي معها، لأنَّ تفاصيل الحادثة والزمان والمكان والتوقيت يرددون جميعهم بأنَّ اللقاء مخطط له ولربما سبقه مواعيد غرامية مشابحة.

الخيمة مغلقة وبداخلها الأم فاطمة وابنتها مريم وهما يرتحفان من الحدث الوالدة مرعوبة من الملح ووقع البلية، جمال بدوي أحمر من الخوف، تصفق بيدها بقوة ثم تضرب بهما على خديها، وهي طالما حافظت على أسرتها على تعاليم الدين ومحافضة، الأم تشد على شعر مريم الناعم تحوى به أرضا وهي ترغمها على التفصيل فيما حدث، أما اخوتها الشبان تلمحهم يطوون الارض طيا، يعجلون

¹ - سامية مهدي، رواية غرود عالية، المرجع السابق، ص: 38.

بخطواتهم ليصلوا إلى خيمهم حيث مريم الضحية تحت وطأ الضغط والرعب، أيها الحائر ما نحل يكم أو أي مصاب اختارك يتساءل خليفة وهو في طريقه إلى الهود كل الأخطاء وقد تعتذر عند هؤلاء القوم إلا الشرف والحرمة فلا القصاص ولا القتل سيحمد نيرانها، ثم يواصل خليفة سيره باتجاه الهود المتواجد في عمق العروق والسيوف، حيث يتواجد العمران وسكان أيها تخيل الجبار أوحى إلى الشيء من قوتك عن عودتي: فالقوم يتربصون بي وأنا مسكين المبتلى¹.

الوقت الذي يغرق فيه الهود في الصمت الرهيب، انطلق الاخوة الاربعة بحثا يعينون في الأرض طلبا لجد خليفة وهم من يرعو تقفي الآثار بمهارة ما يعرف لديهم ودامت المعارك لمدة شهر استمر التوتر ولازال غياب خليفة يوقد وهو الذي يجهل سبب غيابه، وماذا حل بروح الحوار والتسامح، هذه مريم البريئة لا تسلم بدورها من كلام النسوة وأصبحت حديث العام والخاص، تعددت التهم، إنما حرب الملاسة، حرب من نوع آخر وسجنت الفتاة في خيمتها رفقة والدتها، يتوارين سوء اللفظ خشية أن تقذفن به وتعابيرهن نساء الربع وأصبحن يتحاشين الهمة واللمز، حين هدوء الليل على خيامهم ويبقى الذكر والاستغفار مصيدة للوسواس، وتمر الايام والغل يكبر والمشاحنات تتزايد والناس تفتقد الحل ينتهي الصراخ في إحدى الظهرية حل بالقوم عابروا سبيل طلبوا مقام بين الربع ليوم أو يومين ولكن الوجه العام للبدو يوحي لهم بمظاهر عدم الاستقرار وحالة الاستنفار في محيط الخيام خصوصاً عند أعالي لغرود، مرت الايام آكل الملل وجوه الناس وبات الجميع يأمل بعودة الرتبة للخيام فاقترح أحد الشيوخ الحكماء أن يعرضوا الامر على الرجل الفطن أو ما يعرف بالدبار ليقترح حل للمسألة قصو عليه القصة وفاقطاع الأمر واقترح المصاهرة بين النجعين أن يزوجوا الفتاة مريم من الشاب خليفة حتى يطوي الاشكال ويستتر على المرأة².

¹ - سامية مهدي، غرود عالية، المرجع السابق، ص: 42.

* الجبار: هو نوع من النخيل في متوسط العمر لديه كثير من الثمر عن باقي النخيل.

* الهود: هو عبارة عن رقعة جغرافية تكون قريب من المدينة فيه مجموعة من النخيل.

² - سامية مهدي، رواية غرود عالية، المرجع السابق، ص: 56.

* النجع: هو عبارة مجموعة من السكن يحملون نفس لقب من عرش واحد يطلق عليهم نجع فلان.

المبحث الثاني: صورة المرأة والمجتمع السوفي في قصة الأغنية الشعبية السوفية
غرود عالية:

توطئة:

لكل مجتمع تحكمه نظم و قيم و اعرف تسييره في حياتهم اليومية ام المجتمع السوفي
بحدوه لكل عرش لديه عادات و قوانين و قيم تتحكم فيه و تسيطر عليهم و نجد قصة
غرود عالية و قعت في عرشا القطاطية هو العرش المنسوب لديه قوانين وعادات مختلفة عن
باقي العروش المتواجدة في المجتمع السوفي سنعرضها عليكم بتفصيل في ما يلي:

1- بيئة قصة الأغنية الشعبية غرود عالية عرش القطاطية ووصف مكان عيشهم:

جرت القصة الشعبية غرود عالية في وسط عرش القطاطية ، يتوزع هذا الأخير في عدة
نواحي من المنطقة الصحراوية منها الرباح، اميه ونسه، دوار الماء، السوبهله... الخ ويقال في
روايات أخرى أن الموطن الاصلي لهذا العرش هم من تونس كانت هاته القبيلة أو ما
تسمى عرش القطاطية في منطقة صحراوية متنقلة من مكان إلى آخر بحثا عن الكأ
والعشب من أجل أن تأكل منها ماشيتها وبحثا عن سبل العيش الكريم مع ما يلائمها في
مكان ترحالها.

ومن عادات أهل البادية في طريقة عيشهم أنهم يقيمون حد لسكانهم وخيمهم لكي
لا يتعدى أين منهم الحد، بوضع الزروب كما يسميه أهل البدو، ولكي لا تتتاح الرمال
مزارعهم وتشم الرياح اخضرار العشب.

الزروب: هو سياج من الجريد يوضع امام الخيمة لكي يعرف به حدود المكان الذي يسكنه
أفراد أحد القبيلة وهو العازل الذي يعزل الرياح عن أراضيهم.

وكذلك فهم يعتمدون في اقتناء لقمة العيش من وضع أيديهم فهم يزرعون كل انواع الخضروات والفواكه والنخيل لكي يسد بها حاجتهم يسدون رمقهم في الماء، فأهل البادية يزرعون في مكان منحدر وهو ما يسمى بالهود، كل المزروعات التي تصلح لزراعة لديهم.

الهود: جاءت تسمية الهود نسبة لتهويد أي انحدار أو انخفاض أو الدنو إلى الأسفل بحثا عن مكان الماء¹.

وأما عن سد احتياجاتهم في الماء فهم يبحثون عن مكان الماء و يقومون بحفر بئر لكي يحفظ لهم مكان الماء ويشربون منه ويسدون به احتياجاتهم للماء من خلال السقي لهم ولماشيتهم.

البئر: مكان عميق جدًا يوجد به الماء.

وكان أهل القبيلة في آخر النهار بعد أن أنهك التعب جسدهم يذهبون إلى خيامهم لكي يريحوا أجسادهم المتعبة، فهم ينصبون الخيام للنوم وسترة أهل البيت من النسوة.

الخيمة: هي عبارة عن بيت تصنع من الوبر والشعر الابل ويرمز مكان استقرار أهل المنطقة².

وكانت تحاط بهاته الخيام وهذا المزارع كثبان رملية متراسة جميلة أو ما يسمى بالسيوف الرمال تعطي رونقا للمكان وتوحي بالهدوء والسكينة والراحة.

السيوف الذهبية: المرتفعات العالية من الرمال الصحراء.

أما عن نظام أهل القبيلة فهم كانوا يربون الماشية وفي كل صباح يطلقون سراحهم لكي يترعون في تلك الاماكن المعشبة بأنواع العشب الصحراوي، فهم كثيرا ما يعتمدون في

¹ - العيد بن مسعود مخلوف من مواليد 1942م، الذكار حساني عبد الكريم، يوم 19 أبريل 2018، ساعة: 9:20.

² - مجلة عروس البوادي، مجلة ثقافية، العدد1، 2008، ص: 28.

التربية على الابل والماعز والخرفان، فهم يأكلون منهم ويشربون من حليبهم ويصنعون من جلدهم ملابسهم.

الابل: حيوان صحراوي، حيث أنّ هذا الحيوان منزلة له خاصة عند المسلمين لا يستطيع العيش إلا في الصحراء.

الماعز: أحد أنواع جنس الوغل وهو الحيوانات القوية التي يمكنها تحمل العيش في بيئات مختلفة¹.

تعريف الرمز:

لغة: الرمز في اللغة تعني الایماء والاشارة والعلامة وترازم القوم أي أو ما وارد وأشار وأخفيه بالعينين أو الشفتين أو الحاجبين أو جزء من أجزاء الجسم، أو أي شكل من أشكال التعبير اللفظية والغير لفظية. وورد في لسان العرب لابن منظور في مادة رمز: الرمز معناه تصويت خفي بلسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين، وقيل الرمز إشارة و إيماء بالعين والحاجبين والشفتين، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعين والحاجبين والشفتين والفم والرمز في اللغة: كلما أشرت إليه مما يسيان بلفظ بأي شيء أشرت إليه يد أو بالعين²، هذا المعنى بوجه عام ورد في أكثر المعاجم مثل تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي والمحيط في اللغة لصاحب بن عابد، والعين للخليل ابن أحمد الفراهيدي والقاموس المحيط لفيروز الأبادي وجاء في تهذيب اللغة للأزهري ضمن هذا المعنى: والرمز والتميز في اللغة الحركة والتحرك³.

¹ - إبراهيم جمعة، العناصر الرمزية على منتجات الفنية في الجزائر، د.ت، ص: 1-9.

² - جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمز)، مج3، لبنان بيروت، د.ط، 1997م، ص: 119.

³ - مجلة القسم العربي، جامعة نجاب جاهوز.

1. وجاء لفظ الرمز في القرآن الكريم في قصة سيدنا زكريا عليه السلام { قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا }¹، أي إماء فقط يعني إشارة بنحو اليد أو الرأس، ومعناها علامتك أن تستطيع التكلم ثلاثة أيام إلا بالإشارة، وكلمة رمز تعني في اليونانية: قطعة من خزف أو من أي إناء صافية دلالة على الاهتمام والكلمة في أصلها مشتقة من الفعل اليوناني الذي يعني ألقى في الوقت نفسه، أي هو يعني الجمع في الحركة واحدة بين الإشارة والشيء المشار إليه أي أنّ فكرة التشابه بين الإشارة والمشار إليه كانت موجودة في الأصل².

2. اصطلاحاً: أمّا الرمز في الاصطلاح هو آلة أدبية تمكن الأديب أن يتكلم وراء النصّ، "يسمح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النصّ فالرمز قيل كل شيء معنى خفي وإيحاء"³، إذن أطلق الرمز بديلاً على شيء آخر أو ما يحل محله، أو يمثله، الشيء الذي له الوجود الحقيقي معلوم بواسطة الرمز يشير إلى فكرة أو معنى محدد، فالعلاقة الداخلية تربط الدال بالمدلول مثلاً الصليب يرمز إلى المسيحية، إذن فالعلاقة بين الصليب والمسيحية هي علاقة رمزية.

وهناك علاقة وطيدة بين ظاهر الرمز وباطنه، وقد عرّف معجم مصطلحات الأدب الرمز أنه: (كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً ملموساً يحل محل مجرد كرموز الرياضيات، ولقد ذهب الباحثين في تعاريفهم إلى أنه شيء حسي يعتبر كالإشارة شيء معنوي لا يقع تحت الحواس)⁴.

¹ - سورة آل عمران، الآية: 41.

² - تفسير ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، داهم للطباعة، القاهرة، ص 262.

³ - أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص: 40.

⁴ - مجلة القسم العربي، جامعة فغستان، العدد السابع.

للرمز عدّة أنواع منها: الرمز العلمي والرمز اللغوي والرمز الديني والمز النفسي والرمز الأسطوري وغير ذلك، أمّا يختلف الرمز في الفن الشعري خاصة عن غيره من الرموز المذكوران الرمز في الفنون الشعرية عبارة عن وسيلة إيحائية من أبرز الوسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصرة عبر الشعبية الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثرى بها لغته الشعرية يجعلها قادرة على الإيحاء لما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة . الرمز ببساطة يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية أو الصور الحسية التي تأخذ غالب > للرمز ومستوى الحالات معنوية المرموز إليها.

تعريف الدلالة:

لغة: بفتح الدال، وكسرهما وضمّها أوضح من (دلل، يدل) إذ أهدى ، منه دليل ودليلي والدليلي: العالم بالدلالة ويقال دله عليها الطريق يدل دلالة ودلالة ودلولة سدده إليه والمراد بالتسديد: إرادة الطريق، ودله على الصراط المستقيم: أرشده إليه وسدده نحوه وهده، فالمعنى اللغوي للدلالة يوحي عند القدامى بالإرشاد والهداية، والتسديد أو التوجيه نحو الشيء، والدلالة أعم من الارشاد والهداية، أي المعنى المراد من الكلمة اللغوي، أو الذي تحمله الكلمة فلا دلالة للرمز اللغوي من غير أن يكون قادر المعنى، فالكلمة إنّما تقوم في الواقع الأمر بثلاث وضائف في آن واحد.

الأول: إنّها تمثيل أو قل (رمز) للمسمّى في عالمه الخارجي سواء أكان ماديا أم معنويا أم فكريا.

ثانيا: أنّ الكلمة قد تكون شاملة تستقطب كل أنواع المسمّى فكلمة " إنسان" تدل على مخلوق ناطق مفكر، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير¹.

¹ - الهادي نحر، علي الحمادي، علم الدلالة تطبيق في التراث العربي، دار الأمل إربت الأردن، د.ط، د.ت، ص: 23-25.

ثالثاً: أنّها موزعة أي أنّ المعنى ليس نظرياً وإنما هو في الغالب، محصلة توزيعية بنائية يتحدد المعنى فيها من خلال استعمالها وانتظامها وسياقها وعلاقتها بكلمات أخرى داخل التركيب المعين أو ما يسمى بالسياق اللغوي.

اصطلاحاً: أمّا الدلالة في اصطلاح فتعني "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنيين الذي توحى به الكلمة "المعينة" أو تحصله أو تدل عليه، سواء أكان المعنى عيناً " قائماً" بنفسه أو "عرضاً".

هو المعنى مطلق: هو ما يقصد بشيء وأما ما يتعلق به القصد باللفظ فهو معنى اللفظ، ولا يطلقون المعنى على الشيء إلا إذا كان مقصوداً وأما إذا فهم من الشيء على سبيل التعمية فهو معنى بالعرض لا بالذات أيضاً: "هو المفهوم من ظاهر اللفظ وإنفهامه منه للمعنى دون اللفظ".

الباس:

- ترتدي المرأة والرجل البدوي مجموعة من الألبسة التي تميزهم على غيرهم.

يتمثل لباس المرأة في المجتمعات العربية البدوية في:

لباس الحولي: فهذا اللباس الذي كانت ترتديه جميع النسوة العربية فيتمثل هذا اللباس في أنيقة المرأة وحيائها.

الحولي: هو كساء واسع لونه أسود مصنوع من قماش أسود حرير ، فالنساء في هذا العرش يرتدون اللباس الاسود بشكل عادي أما في مناطق أخرى فاللون الأسود يمثل بالنسبة إليهم رمزا إلى الحزن والتشاؤم.

الأسود: يرمز إلى النهاية والفقدان الأبدي، ويرمز إلى الحداد في الديانة الشريفة وإلى الصفات أهل النار كما يدل على المرجعية الدينية والقوة والخضوع إلى الله.

أما زينة المرأة البدوية فهي تزينا بخلاخيل من الفضة لكي يزيد لها رونق وجمالاً. الخللخال: يصنع من ذهب أو فضة ويلبس في الرجلين وهو عبارة عن حلقة جانبها مربع وبها نقوش رقيقة.

ومن طبائع المرأة أنها رقيقة وهادئة تتسم بالرزانة والاحترام¹.

أما عن اللباس الذي يخص الرجل البدوي فهو يتسم بالرصانة والقوة والهيبية يلف حول رأسه قطعة صفراء ما تسمى بالشاش عندهم.

أما عن رمز اللون الأصفر فهو: رمز الآلهة وهو رمز الألواح المقدس، وكذلك يلبس البدوي الجبة أو ما يعرف بالقدوارة عندهم.

2- الأعراف والنظام الاجتماعي في قصة الأغنية الشعبية "غرود عالية"

العادات الاجتماعية: قيل معظم الدارسين تعريف العادة على أنها قوة معيارية و ظاهرة تتطلب الامتثال الجماعي بل الطاعة الصارمة فهي في ذلك رائدة للقانون².

*تجمع النسوة الصارمة أثناء ولادة الفتاة لتخفيف ومساعدتها على ألم المخاض.

*تقفي الأثار أو ما يعرف لديهم بالقص الجرة وهذه لديها أشخاص بارعين فيها يحكم المعرفة والفتنة.

*إقامة الولائم ومأكولات شعبية منها العصيدة والكسكسي.

*دفن الميت ومغادرتهم المكان، تشاء ما بالموضع.

- العرف الاجتماعي: هي القواعد في السلوك يكتسبها الفرد بالتقليد، وهي عبارة عن عادات اجتماعية لها صفة الإلزام.

¹ - كلود عبيد، الألوان دورها، تصنيفها، مصادرها، ورمزيتها، ودلالاتها، ص: 13.

² - أحمد زغب، الفلكلور النظرية، المنهج، التطبيق، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2015م، ص: 18

وكأي عرش من عروش القبائل البدوية لديه قوانين وضوابط تحكمه ولا يتعدى أي أحد عن هذا العرق السائد على جميع أهل القبيلة وأي مخالفة تعتبر خروج عن قوانين ويعاقب عليها.
*حرمة الاعتداء عن الشرف.

*عدم تخطي حرمة المكان.

*احترام أوقات الخروج.

فنرى أنّ مريم أثناء خروجها من الخيمة كانت بسبب إطعام الماشية ثم تخطت سياج الجريدي وذهبت لمشاهدة غروب الشمس كان السبب حفيف ودفعت الحادثة بالصدفة بينها وبين الرجل خليفة، وهذا ما أدى إلى انتشار شائعة حول شرف مريم أي أنّ مريم خالفة مساحة مكان أصلها وخرجت بعيدة عليه.

*تجاوز أصل القبيلة ببعضهم: نرى في هذه الأغنية والقصة تم الزواج لكن إجبار كل الطرفين لأنهم تزوج بسبب شائعة التي اتهموا بها وهم أبرياء فاتهمات التي وجهت لمريم كانت سبب في موتها أي أنّ مريم لم تتحمل كل تلك الشائعات ولأنّ أول مرة تحصل هذه الجريمة الشنعاء قبلتها وتوالت الأيام وبدأ جسم مريم بالضعف يوما عن يوم وكان سبب في موتها.
فأي خروج عن نظام وعرف القبيلة يرجع على صاحبه بالخسارة.

*تفرق النسوة أثناء حضور الرجل¹.

¹ - أحمد زغب، الفلكلور، المرجع السابق، ص: 22.

الخاتمة

إن دراستنا هذه تدور حول الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية التي هي شكل من أشكال الأغاني السوفية التي لها آثار كبيرة على وسط المجتمع السوفي، أغنية غرود عالية ليست كباقي الأغاني السوفية الأخرى، لها جذور في مخيلة المجتمع السوفي التي بقي آثارها متداولة على ألسنة العامة.

ولقد توصلنا في هذه الدراسة إلى معرفة أن وراء هذه الأغنية قصة مثيرة كانت سبب انتشارها في أفواه المجتمع السوفي قصة غرود عالية ليست قصة بسيطة بل هي قصة مثيرة، قصة فتاة اتهمت في شرفها في زمن ماضي وكان لها أثر كبير في عشرها في ذلك الوقت، العرش المعروف بالقوة والحفاظة وما يعرف بالتعصب القبلي هو عرش القطاطية الذي لديه قوانين وأعراف ونظم اجتماعية التي تحكم هذا العرش، هذه هي الفتاة التي اتهمت وخالفت هذه القوانين التي أدت بها إلى الهلاك والدمار في حياتها إلى أن وصلت بها إلى الموت تاركت لها آثار وكلمات مثير بقيت متداولة إلى يومنا هذا.

قائمة المصادر

والمراجع

• القرآن الكريم.

• الموردين:

1. بن علي محمد الصالح، يوم 26 مارس 2018 على الساعة 18:00 صباحا.
2. ربح احمد، حرم سعد احميد، شرقي الرقيبة، عمرها 70 سنة، بتسجيل يوم 25 مارس 2018، على ساعة 17:50 مساء.
3. الشاعر جونف محمد المولدي، مواليد 24 جانفي 1953م، يوم السبت 8 فيفري، ساعة: 11.12 دقيقة.
4. عامر فايزة، هبة الرقيبة، 25 مارس 2018، ساعة 4:00 مساء.
5. عائشة نوير، عن عمرها 80 سنة، هبة الرقيبة، الساعة 17:00 مساء.
6. عائشة نوير، عمرها 80 سنة، هبة الرقيبة، الساعة 3:00 مساء.
7. عبد الله مناعي، يوم 17 مارس 2018 عن الساعة 9:00 صباحا.
8. العيد بن مسعود مخلوف من مواليد 1942م، الذكر حساني عبد الكريم، يوم 19 أبريل 2018، ساعة: 9:20.
9. الفنان عبد الله المناعي، يوم 26 فيفري 2018، ساعة: 11.50 دقيقة.
10. مريم عتير، عمرها 50 سنة بنت محمد عتير، هبة الرقيبة، حرم عتير رضوان يوم 23 مارس 2018، الساعة 10:00 صباحا.
11. مريم عتير، من مواليد 1951 هبة الرقيبة بنت لخضر عتير 21 مارس 2017.

• المعاجم:

1. جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمز)، مج3، لبنان بيروت، د.ط، 1997م.
2. الرازي (من بن أبي عبد القادر) مختار الصحاح، دار الكتب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1997م، مادة غرد..

3. الزبيدي (محمد المرتضى) تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، مطبعة الخيرية، المنشأة الجمالية، ط1، 1406هـ، 1987م مادة غرد.

4. مصطفى إبراهيم، معجم الوسيط، معجم اللغة العربية المعاصرة، مطبعة مصر، ج2، 1960م.

• الكتب:

1. إبراهيم جمعة، العناصر الرمزية على منتجات الفنية في الجزائر، د.ت.
2. أحمد زغب، الفلكلور النظرية، المنهج، التطبيق، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2015م.
3. أحمد قنشوبة، البناء الفني في القصيدة: الشعبية الجزائرية، دار سنحاق الدين للكتاب، د.ط، ط:1، ماي 2008.
4. أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر.
5. جيلاني حسان، من التراث السوفي الغنائي، دار شهاب باتنة، الجزائر.
6. سامية مهدي، كمال خزان، أغنية غرود عالية، من إصدارات دار الثقافة بالوادي، ط1، 2016م.
7. كلود عبيد، الألوان دورها، تصنيفها، مصادرها، ورمزيتها، ودلالاتها.
8. محمد شمس الدين مجدي، الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
9. محمد فضيل بن عمر، أهازيج من التراث الشعبي بولاية الوادي، د.ت، د.ط.
10. هجرتي كراب الكسندر، علم الفولكلور، نزار احمد رشدي صالح، دار الكتاب، القاهرة.

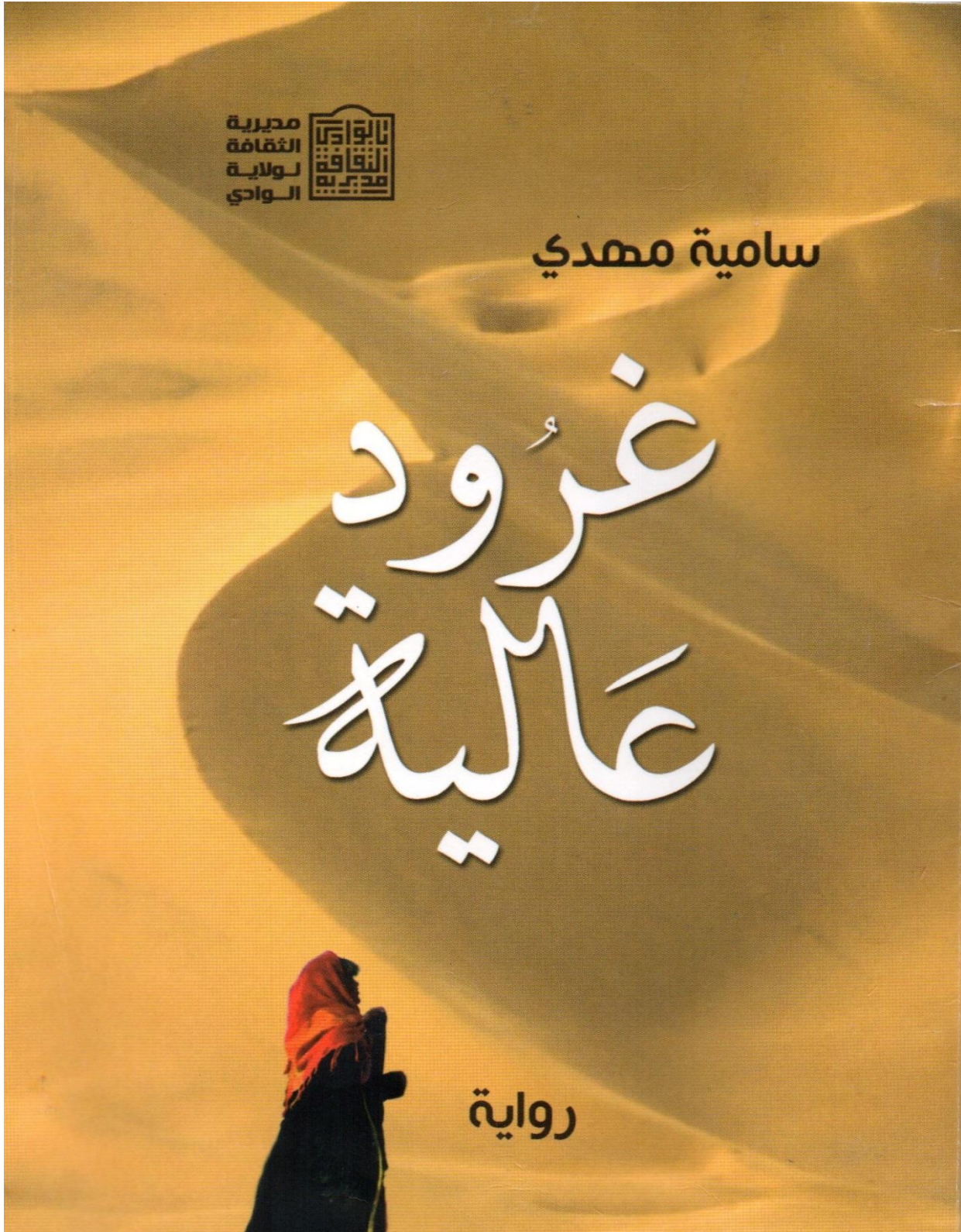
• مجلات:

1. عروس البوادي، العدد الثالث، المجلة السنوية : تصدر عن محافظة مهرجان محلي لدار الثقافة للموسيقية والأغنية السوفية.
2. فتحي الصنفاوي، حول مفهوم الأغنية الشعبية، مجلة الموسيقى، العدد 36، القاهرة، 1997 م.
3. مجلة القباب، دار الثقافة بالوادي، العدد التاسع، جوان 2008، 2009م.
4. مجلة القسم العربي، جامعة نجاب جاهوز، العدد: 6.

• الرسائل:

1. عبد القادر نطور، محمد العيد تاورته، الأغنية الشعبية في الجزائر، رسالة دكتورا، تخصص الادب العربي الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 1429هـ - 2009م.

ملحق



في زمن لم يحدده التاريخ بأرقام دقيقة كان تظهر الخيام متناثرة في رحاب الرمال مشكلة تجمعات سكنية، موزعة في صحراء سرقت من الذهب بريقه ومن البداوة هيبتها. من بعيد يمتد سياج الجريد والمسمى بالزروب وهو يفصل بين مجتمعات وأخرى تعبت به الرياح والرمال، لكنه يبقى صامدا اليوحي معان كثيرة تضاف إلى أعراف البادية. كان مسيجا بأحكام يضفي على الديار حرمة ووقارا. فالربع والجمع يعون جيدا أن هذا الحاجز شيء مقدس لا يمكن تجاوزه لغير أهل البيت. أو ممن يؤذن له.

لم تكن الخيام لتخلو من الحياة وأنفاس البشر فقد كانت تعمرها قبائل تجمعهم في الغالب علاقات أسرية وقراية وطيدة حتى لكأن كل مجمع من الخيام يكن باسم عائلة معين، يخيل للناظر أن نظاما عمرانيا أو تقسيما أسريا يحكمهم. كل عرش يتربع في ضاحية معينة من هذه الصحراء التي لا تحدها عين الناظر.

هذا فعلا ما يعرف بسحر البداوة الذي يطغى على المكان. اكتمل بسلوك الأسر المحافظة الذي يميز أبناء المنطقة. وهذا ما نلمسه في الأخلاق التي نمت داخل هؤلاء الناس دون أي دستور أو قوانين مدونة. تميزها فقط في العلاقات البشرية فيما بينهم. بعيدة كل البعد عن العمران الحضري والقريبة جدا إلى الأخلاق السامية، المتمسكة بتعاليم الدين الإسلامي في كل تصرفاتهم. فالشرف وحرمة أهل البيت تعي في المقابل أن تعيش السلم طوال الدهر أو حروبا غير منتهية. لما للأمر من قداسة يعرفها الشيخ والشاب والمرأة، جميعهم تلقنوها منذ الولادة.

وعليه فقد حرم البدو الاعتداء على الشرف ولو من غير قصد، أو في أبسط أفعاله. وأن أي نظرة خاطفة أو خاطئة تعقد من المسألة. فهذه القضايا وإن وقعت يصعب حلها، وتحل العداوات بين القبائل لأنها قضايا شائكة لا تحتمل الخطأ وتنعدم فيها الحلول في أحيانا كثيرة. وللروايات الكثيرة نصيب منها باتت شاهدة، أشهرها الزمن حق بلغتنا. ما يجعلنا نصدقها من دون ريب، لأن الحياة هناك لا تتيح المجال للشك. وأي أمر ورد يعني وقع !

فالشواهد دائما كثيرة والبيئة لوحدها تفضح الحادثة. وكل واقعة تنتشر بسرعة البرق. لذلك فالحذر مطلوب مهما بلغت درجة المحافظة.

لقد تربص البلاء بأهل البداوة زمنا طويلا وعصف بالحذر، وكان لسحر النساء في القبيلة وجمالهن سبب مباشر لوقوع الفاجعة. وكأن الشرف بدأ يغادر تدريجيا خيامهم. فلطالما محد هؤلاء القوم خوفهم على عرضهم. لكن ذلك لم يصمد طويلا. فإفشاء خبر اعتداء ما على حرمة البيت بات فاجعة حلت، ستجر خلفها سنوات من العداء المتواصل، غذاها التعصب القبلي والمطالبة بالثأر. فلم توفق مريم هذه المرة في اختيارها لزمان الخروج من الخيمة والابتعاد خطوات أخذتها سهوا خارج أسوار الزروب (الجريد).

تلك المرأة الرقيقة والهادئة، يشهد لها نساء الربع بالرصانة والطاعة واحترام الكل. والتي تولى اهتماما بالغاً للمحيط الذي تعيش فيه. ولأسرتها والأخوة رجال ترعرعت بينهم. وقارها طابع اكتسته واكتسبته من البيئة الصحراوية المحافظة التي نشأت عليها. فمواعيد خروجها أو دخولها إلى الخيام تخضع للاستشارة وإعلام أهلها كلما همت بذلك، ولو اقتضى الأمر الخروج الأشغال البيت اليومية. فواجب عليها ولزاما إطلاع أمها في حال خروجها وإبلاغها عن وجهتها المقصودة. وإن كانت لتقدم الكلاء للماعز أو الإبل بجوار الخيام. فهذه تعليمات صارمة لا هواده فيها. ها هي تنهياً للخروج كعادتها بعدما أخذت الإذن من والدها فاطمة. فنراها تحمل الأعلاف وبعض الحلفاء وتتوجه خلف خيامهم صوب الماشية لتطعمهم.

على تلة الرمال في الجهة المقابلة رجل ذو بنية قوية، مزج لونه بين الحمرة والسمر، حتى يوصف بالبشرة الخمرية اللون. تجده يتنقل بخطى متباعدة من مكان لآخر بخفة ورشاقة. يلف على رأسه قطعة من قماش صفراء فاقع أشبه إلى لون الرمال. كأنه يتهيأ لعمل شاق، يصارع الكثبان بخطوات وعرة ومتعبة يتقفى آثارا مختلفة على الرمال. لكن ذلك لم ينل منه وهو أفقه من غيره بهذا العمل الجهيد. أخذ هذا الرجل ذو العينين الثاقبتين

يتنقل من مكان لآخر وعينيه تارة على سفح الرمل وتارة على الأفق البعيد، وكأنه يبحث عن شيء فقداه أو على وشك بلوغه، وذلك من خلال تحركه المتمهل بخطى هادئة، بعدما وضع جانبا نعله المصنوع من الجلد والوبر، هو ما يسمى لدى البدو با "العفان". ومضى حافيا حتى لا يعيق ذلك تحركه السريع خلف صيده.

خليفة الذي جرت قدماه إلى مشارف الزروب دون أن يعي لذلك، وهو الذي قضى فترة الظهيرة إلى حين المساء، يركض خلف فنك يرغب في اصطیاده. ولم ينل منه التعب نظرا لجسمه الفتي وجسده الذي لم تنهكه دروب الصحراء.

كانت مريم قادمة من خلف الخيام بعدما قدمت العلف للماعز والماشية، متجهة نحو أعلى الزروب لتشهد غروب الشمس. الأمر الذي تعودت عليه دائما في نفس الموعد، أين تودع عين المغيب قبل العودة إلى الخيام. تلك الأقدام الناعمة المثقلة بخلاخيل من فضة تلامس السيوف الذهبية باستحياء وتتمايح على حبات الرمل. وتمشي أميرة الصحراء برفق حتى مرتفع حدود الجريد لتودع يوما آخر من حياة البداوة.

تغزلت نسמת العشية في سواد الشعر وهو يتوزع بنعومة على الحولي والحلي الذي يحتل مساحة شاسعة من جيدها المغربي. وعلى سواد الأهداب الذي يبعث الفتنة وهو يجئ جزء من نسמת حاملة كلما رف طرفها. وكأني بما تلقي بغمزاتها المعتادة على الغروب وتذكره بموعد الغد. تنهد جسد المرأة الواقفة قليلا ثم همت بالعودة ترفع بيدها جزء من الحولي

كي لا تتعثر وهي تعبر حاجز الجريد وخلخال بوعرضين بعزف مقطوعة الوداع. همت فاتنة الغروب بعبور الجريد والساق اليسرى تسبق اليمن نحو الداخل، وإذا بصدام عنيف يلقي بما نحو الأسفل على الرمال المتدحرجة، وجسدها يتكور في الرمال والحولي والشعر يسبحون في الرمال والوجه الناعم يقبله التراب، حتى انتهى بها الأمر إلى أسفل السيف وهي ترتجف من الهلع والخوف، ثم قامت بسرعة واتجهت لتتوارى في خيامهم تحتبس أنفاسها التي تنقطع بين الشهيق والزفير. وتحاول في ذات الوقت مدارات الحولي الذي شق في أسفله، كي لا ينتبه أهلها لثوبها الممزق.

لقد أوقع خليفة بمرتم إلى داخل قرب خيامهم بعد أن اصطدم بما وهو قادم من أسفل السيف باتجاه الأعلى، بخطوات تكاد ترتفع عن الرمال لشدة الحذر كي يصيد فريسته، وهو الذي لم يع لدنوه من حدود الخيام وحرمة أهل البيت، ولم ينتبه حتى للفتاة الشابة التي بلغت حدود الجريد في ذات التوقيت. فض خليفة بسرعة البرق وقلبه يخفق من هول ما اقتترف، وكأنه اعتدى عمدا على جسد المرأة الذي ألقاه بقوة طريح الرمال.

توقف ذهن الرجل للحظات واختلط عليه الأمر هل يفر خوفاً أو يتوقف وينتظر العقاب أو أو.. أو.. تزاحم الخوف والعقاب في عيونه ثم استفاق فجأة وهم بالنأي بالنفس والفرار قبل أن يراه أحد، وهو الذي لم يتعمد فعلته. لكن شاءت الأقدار أن يكون الرجل الطيب منفذا لهذه الجرم. وهو يعي تماما عواقب فعله الذي سيشعل بلا شك حرب العداوة بين تلك العروش.

المسكين وبخطوات مرتحفة يبتعد شيئاً فشيئاً عن حدود الخيام وهو يلتفت بين الحين والآخر، بينما الحادثة لم تخل من شهود السوء ممن يهون الفتن ونيران العداوة. فكان لسوء حظه وحسن حظهم أن اختارهم الزمن ليكونوا شهداء على ما وقع. ليروا ما يريدون ويخفون حقيقة ما لا يريدون. حادثة عمرها لحظات تساوي طرف العين كانت كافية لإعادة إشعال فتيل العداوة بين القبيلتين التي لا تأفك أن تهدأ برهة، ليظهر الصراع من جديد ككل مرة فكان التلاسن سبباً، وكانت لإلقاء التهم والسطو سبباً، وعدم دفع الديون سبباً آخر، وكذلك التحريض من القبائل المجاورة للبدو وهم من يتقاسمون نفس العادات والتقاليد والذهنيات والتعصب ذاته. ان

موسم الثقة وحسن الجوار بين هؤلاء القوم بعدما اتسعت هوة العداوات فيما بينهم. وتوالت المشاكل تباعاً، فجرها حاد التصادم بين مريم وخليفة اللذين اصطدما على مشارف الزروب عند احمرار شمس العشية..

هذا هو نفسه الشاب الذي رفضت عائلة الحاج بشير مصاهرته لأن من بدو بعيدة يجهل حتى مرابضهم. ولأن العرف السائد هو أن العائلة لا يتزوجون إلا من أقاربهم، فقد ولد هذا الشيء نوعاً من الحقد بقي يكنه هذا المجهول. ولن يهنأ إلا أن يوقع بين القبائل ليرضي غله المكنون.

طلع الصباح هنيهة وهو يتباهى بتطايير حبات الرمال تنسفها نسيمات خفيفة كانت تعبث بأطراف الخيام الوبرية، وهي تتمايح على أعمدة الخشب المتمسكة بعمق الأرض صامدة في وجه الريح و البرد وحر السموم.

بدأ النشاط وبدأ أهل البداوة يبرزون تباعا، كلا إلى وجهته، فالراعي اجتمع ماشيته وهم يستعدون لبدء مشوار الرعي. أصحاب الإبل فكوا رباطها لتنتقل بحرية إلى الضواحي البعيدة. بينما أعيان الربع وسادها وبارها يتوجهون إلى خيمة شاسعة يجتمعون فيها كعادتهم كل صباح وهو المكان الذي يقصده السائل والشاكي لتداول الحديث والتدابير وشؤون الربع.

استبق الحاج بشير (والد مريم) كعادته المشايخ، وجلس داخل الخيمة قبل أن يصل الجميع. وقد هيأها كالمعتاد. فتجد هذا الشيخ النبيل يرد السلام بين الحين والآخر على المارة. وهو الذي عرف بشدة رصانته وكلامه الحكيم، والوجه المجعد دائم الابتسامة والبسيط والحيي للجميع. فلا عمره السبعيني منعه من التنقل من وإلى الخيام بخفة ولا تعب. يحك رأسه المشيب بين الحين والآخر، يوضب هندامه الأبيض والمعروف لديهم با "الجبة"، ثم يعيد لف الشاش على رأسه، وها قد بدأ يستقبل بقية الرجال والشيخوخة المداومة على الخيمة بين الحين والآخر.

جلس إلى أيديهم شاب شديد البأس لئيم، لم يفصح عن هويته، وشرع في سرد ما رأي. يروي حادثة مثقلة بالأكاذيب والتهم. لم يترك مجالاً للصمت، متحدثاً عن العرض والشرف والتحريض على الإقتصاص من المحرم الذي انتهك حرمة بيته في غيابه، مشيراً بيميناه تارة ويسراه تارة أخرى. كلام شاهد الزور الذي دفع الحاج بشير (والد مريم) إلى النهوض من مكانه بقوة وعمامة رأسه ترتطم بسقف الخيمة، وهم بالخروج ولون وجهه يتماوج بين الحمرة والسواد، بعد الذي سمعه من الراوي في هتك عرضه وسط مجمع كبار النجع.

صاح مناديا في أبنائه حامد وعبد الرحمن ومحمد والهلالى وصدى صريخه بلغ أقاصي الصحراء كما لم يسمع صريخه قط.

وفي لمح البصر حضر إلى جواره أبناءؤه. أربع شبان غلاض ذوي قامات طويلة، عشريني وثلاثيني الأعمار. تمتزج طباعهم بين الحدة والرصانة والتهور والطيش. فكان أكبرهم حامد أرسنهم وأهداهم، يقف إلى جانب والده وأنفاسه تتقطع بعدما هرع جريا. شاب يملك من الحلم والصبر الكثير، ورث أغلب طباعه عن والده الحاج بشير. وإن لم يخلو الأمر من بعض الحدة، لكنها نادرا ما يتصف بها إلا إذا بلغ الأمر أشده. وعلى يمينه وقف شقيقه عبد الرحمان (الإبن الثاني)، شاب قليل الغضب كثير الهدوء. قلما يسمع صوته أو ضجيجه. يأخذ كل شيء محمل الجد، غالبا من نراه صامتا مصغي للأحاديث. أما في المقابل فيحضر الأخوين الصغيرين محمد والهلالي، ذوي الطباع المشابهة يشوبها التهور وقلة الحيلة. شابان في العشرينيات من العمر لا يحسنان التصرف ولا الكلام. كثيرا الصراخ وحدة الطباع. لكن شيئا يشفع لهما وهما الطاعة والإصغاء للكبار رغم طيش الشباب الذي يعتبرهم، إلا أن الاحترام غالبا يسود تصرفاتهم. وهما اللذان يقفان رفقة أخوتهم وبقية الشيوخ وعلامات الاستفهام قرأ في عيونهم.

كيف مضت ليلتهم دون علم بما حدث؟ إنما العاصفة التي لم تعصف قبلا في النجع. تطايرت أبصار الفتية شرا وهم يموجون أمام الخيام من عار ما سمعوا. وكيف لهم ألا يثوروا والاعتداء الحق بهم من قبيل الأعداء، حيث الصلح قصير ولا يدوم طويلا.

بات الصراع على أشده، والشبان والأهل والأعمام والجوار في حالة غليان والفتية أشبه إلى الثيران الهائجة يشحنون بعضهم بضرورة القصاص. أما الشاهد فقد غادر خلسة دون أن ينتبه الجميع لذلك. لأن سلوكيات الفتن لا تصدر إلا من ناقص. لقد نشر هذا المحرض شهادته المزورة ثم أحتفى في أفق الصحراء، لم يعرف له أثر من يومها، مخلفا وراءه حروبا باتت على أشدها.

شاع الخير في لمح البصر وعم أرجاء الخيام. والمارة يتساءلون عن الحادث. ولا تسأل عن تداوله بين النساء اللواتي صرن يحكين القصة كل على هواها بين التعاطف والشماتة. ولغيرة النساء جانب كبير في مغالاة الحادثة.

في غمرة مخاوف ممزوجة بالخوف والرعب والفضيحة الملفقة، تبكي مريم في وجه أمها التي تبكي معها تارة وتمسك برأسها تارة أخرى. كأنها آمنت باثام ابنتها. لأن تفاصيل الحادثة والزمان والمكان والتوقيت يوحون جميعهم بأن اللقاء مخطط له. ولربما سبقته مواعيد غرامية مشابحة من هذا القبيل !

الخيمة مغلقة وبداخلها الأم فاطمة وابنتها مريم وهما ترتجفان من الحدث. الوالدة مرعوبة من الملح ووقع البلية. امرأة في الخمسينيات من عمرها، ملامح وجهها النقي الموشوم تكاد تنفطر، وهي تنتفض وجدائل سوداء تتمايح على كتفها. جمال بدوي احمر من الخوف. تصفق بيديها بقوة ثم تضرب بهما على خديها. وهي التي طالما حافظت على أسرتها ولم تدخر جهدا الرعاية بيتها وأبنائها، وحرصت دوما على تربيتهن وتنشأتهن على تعاليم الدين والمحافضة. سيدة نادرا ما يسمع صوتهما، أو تشهد تجمعات مع النسوة. لقد شعرت الكهلة برعب شديد وجسدها يرتحف، ووجهها يحمر من وقع الحادثة. لم تتوقع أن يصيبها يوما ما أصابها. إنه حدث مهول لم يكن في الحسبان لفرط تربيتهن المحافضة.

الأم تشد على شعر مريم الناعم تقوى به أرضا، وهي ترغمها على التفصيل فيما حدث. لكن بكائها وتقطع أنفاسها منعها حتى من رد الكلام أو تبرئة نفسها. وها هي تستعطف أمها التصديقها، وتقسم بأغلظ الإيمان أنما بلية ابتليت بها ولا تدري حتى إن كانت صادقة أو مفتعلة. أهو الزمن الذي جي عليها! أو لعنة الغروب التي لحقت بما؟ لازل الشعر الأسود يتوسد الأرض تسقيه دموع فتاة بريئة، تحاول بكل ضعف تبرئة نفسها أمام والدتها. هذه الأخيرة التي تريد أن تصدقها لكن حبال الشكوك تقيد أفكارها وتجرحها محمدا إلى أصل الحادثة..

أما إخوانها الشبان تلمحهم يطوون الأرض طيا، يعجلون بخطواتهم ليصلوا إلى خيمتهم حيث مريم الضحية تحت وطاء الضغط والرعب، تجسد لن يقوى على مواصلة الدفاع عن نفسها.

من بعيد الغبار المتطاير يسبق وصول الإخوة الثلاث إلى الخيام، ينذر ببول العاصفة والعقاب المجهول الذي يدنو منها شيئاً فشيئاً. أترام الموت؟ أم هو شيء أروع منه؟ ما هذه الخطيئة التي وقعت فيها وهي التي لا تدري عنها شيئاً.

وصلت شرارة الغضب الأولى إلى الخيمة فجرها الهلالي، متبوعاً بإخوته، وهو يرفع سكيناً صدأت أزاح به الغطاء عن مدخل البيت. واليد الأخرى يجرح الشعر الأسود إلى حد السكين ولولا يمين القسم الذي صرخت به الأم في وجه ابنها، وهي التي تموج بينهم تستعطفهم، لكان حد النحر نفذ على الفتاة.

الكل يصرخ والكل يلعن والكل يشتم ويسب، والغضب يتطاير من أعينهم. الفتية الغاضبون يطرحون كومة من الأسئلة في لفظ واحد. جميعهم يصرخ في وجه مريم التي أخذ منها الرعب نصيباً وافر حق هوت تحت أقدام الجميع بلا وعي.

والأم تجرّها إلى حضنها ترجف وتصرخ وتبكي في آن واحد تأمر أبنائها بالمغادرة. فالظلم دائماً يختار الأبرياء !

أيها الحائر ماذا حل بك؟ أو أي مصاب اختارك؟ يتساءل خليفة وهو في طريقه إلى الهود. كل الأخطاء قد تعتذر عند هؤلاء القوم إلا الشرف والحرمة، فلا القصاص ولا القتل سيخمد نيرانها. حمل الرجل أثقاله وهو الذي لم يعد يقوى على التفكير بمصابه. والوساوس تحيط به من كل جانب. والمخاطر تتربص به عند تلك السيوف التي يمر بها. هل كان حتماً علينا أن نقيم هنا لتحكمنا قوانين القبيلة العنيفة التي لا تخضع للين؟ فالأخطاء واردة عندهم والحلول منعدمة. والتعصب الحاد يسيطر عليهم. فقساوة الطبيعة طغت على طباعهم، حتى باتت جزءاً من عرفهم. لقد صرت أخشى كل الزروب البالية التي تأكل منها الماعز. بينما أنا لا أقوى على التحديق بما. لقد صنعت لنفسها هيبة تلك الحواجز (حواجز الجريد).

يوصل خليفة سيره باتجاه الهود المتواجد في عمق العروق والسيوف، والذي يستغرق ساعات لبلوغه وهو الأقرب إلى الأماكن الحصرية، حيث يتواجد العمران والسكان. أيها النخيل الجبار أوحى إلي بشيء من قوتك عند عودتي ! فالقوم يتربصون بي وأنا المسكين المبتلى.

في الوقت الذي يغرق فيه الهود في صمت رهيب، انطلق الإخوة الأربعة بحثا يعثون في الأرض طلبا لجسد خليفة وهم من برعوا في تقفي الآثار بمهارة ما يعرف لديهم (بقص الجرة). واختار كل واحد منهم وجهة مغايرة إختصارا للوقت..

الرجل وبعد عناق طويل مع نخيل الهود، سلك طرقا غير التي يرتادها يوميا، سائرا وهو مغيب الذهن، دون وعي. قصد المسكين مقام الحضر البعيدة ولم ينتبه لها إلا عند حلول الظلام، حيث استحالت عودته. بينما بلغ أحد الفتية مشارف الهود التي لم يجد فيها سوى البوم، وكأني ما تخبرهم أن المقصود رحل.

ضجر الأخ البكر وهو يمتطي حماره وقد نال منه التعب والغضب مالا تفسره تقاسيم وجهه. وعاد أدراجه تحت ظلام دامس مستدلا بالنجوم في طريق عودته، التي تشهد لوحدها تفاصيل الحدث. مساوئ الصدف لا تخدم أبدا غياب خليفة الذي أصبح في نظر القبيلة الصورة غير المرغوب فيها. وهو الذي فر من العقاب بعد العصيان. واقتادته خطواته إلى التنقل من النجع إلى الحضر للإقامة هناك والتفكير بحل يخدم نيران القصاص.

بعد مسيرة يومين أو يزيد، بلغ الإخوة بجمعهم والشراسة تفسر نظراتهم، والكل بات يسعى للانتقام. وبادر الفي الأصغر، صاحب الطباع المتهورة وقلّة الفطنة، واقتاد قطيعا من الماعز خفية إلى جوار الخيام، أين يقيم أهل خليفة من النساء. وفي ضحى اليوم الموالي تعال الصراخ والشجار بين شباب القبيلتين، حيث اتهم محمد (الابن الأصغر للحاج بشير) نساء الربع وأهل خليفة بسرقة القطيع، وأن جميعهم يتصفون بالهمج ولا يمتون للأخلاق السوفية بشيء. وما هي إلا لحظات حتى اختلطت ساحات الخيام بفتية القبيلة وعويل النساء داخل الخيمة. الجميع يصرخ، والكل يهدد

ويتوعد. لقد وقع ما هو منتظر، اشتباكات عنيفة وتلاسن وقذف. واحتدم الصراع بينهم، ستعرض فيه الشبان شتى أنواع السكاكين والسيوف والنيران المستعرة.

أحداث غريبة وقعت في ذاكرة الصحراء في ذلك المساء الدامي. منع فيها التنقل والسير بين مرابع الخيام. وبات الحذر مطلوباً، والغدر متوقعا في أي لحظة. واستمر التوتر شهورا وأياما، ولازال غياب خليفة يوقده، وهو الذي يجهل سبب غيابه.

ماذا حل بروح الحوار والتسامح ! وهل خلت القبائل من الاعيان والنبلاء. أليس فيهم رجل رشيد ؟ كلام وتحسر قاله شيخ جليل دعى إلى اصلاح ذات البين. فالدمار لا يجر إلا الدمار. وان جرائم القوم ستتصاعد إذا لم يفصل فيها أشرف القبائل وسادتها. فالفتية لا يلامون إذا امتنع هؤلاء. وهذه مريم البريئة لا تسلم بدورها من كلام النسوة. وأصبحت حديث العام والخاص. وتزايدت الأقاويل والتأويل، وتعددت التهم، وقل من ينهى عن قول الزور، وكثر القيل والقال في أوساط النساء.

إنما حرب الملاسنة، حرب من نوع آخر. تلقي مساوئها على نفسية الفتاة حتى دمرها عن آخرها، ولازمها العار كلما ذكرت في مجمع. لتكون مضرب الإساءة عند القوم. وسجنت الفتاة في خيمتها رفقة والدها، يتوارين من سوء اللفظ خشية أن تقذفن به أو تعارهن نساء الربع. وأصبحن يتحاشين الهمز واللمز وانزوين في خيمتهم.

خيم هدوء الليل على خيامهم. ويبقى الذكر والاستغفار مصيدة للوسواس. وها هي مريم تتقرب أمها تخرج باستحياء من خيمتها خشية أن يراها أحد. وقد سبقها زوجها بشير بلحظات عندما سمعوا آذانا خافتا يأتي من بعيد مؤذنا حلول الفجر. فاطمة الأم تذهب لجلب ماء الوضوء، وبصوت خافت تشهد وتستغفر، تغسل دموعها الصبابة طوال الليل. ثم تكبر وتركع وتسجد، وصوتها لا ينقطع عن الدعاء والخشوع، تطوي طرف السجادة وبالأخرى تدور عقيق المسبحة بأصابعها داعية بالفرج القريب. ويمضي الصباح ويعقبه الليل ولا حديث سوى عن حادثة مريم.

وتمر الأيام والغل يكبر، والمشاحنات تتزايد، والناس تفتقد لحل ينهي الصراع.

في إحدى ساعات الظهر، حل بالقوم عابروا سبيل طلبوا المقام بين الربيع ليوم أو يومين بعد طول ترحال. لكن الوجه العام للبدو يوحي لهم بمظاهر عدم الاستقرار، وحالة الاستنفار في محيط الخيام بجميع اتجاهاتها، خصوصا عند أعالي لغرود التي سيجت بالنباتات الشائكة جنبا إلى جنب بمحاذاة الزروب (محيط الجريد). فاقصر مقام الرحالة ليوم واحد دون أن يتطفلوا عن الوضع. وأدركوا من تلقاء أنفسهم أن أمرا يحدث بين الربيع.

شدت القافلة رحالها منذ الصباح الباكر مستبقة طلوع شمس، وهم يحملون العديد من الاستفهامات تنتظر من الزمن الاجابة، لبيتعدوا شيئا فشيئا عن مواطن النجع الذي لا يلقون حتى تحية السلام فيما بينهم.

أيام وليالي طويلة لم تغير من الأمر شيئا، ولم يتوصل أطراف الصلح إلى حل توافقي يرضي جميع الخصوم، ويقلل من حدة الغل الذي يكنه الربيع لبعضهم.

أكل الملل من وجوه الناس هناك، وبات الجميع يأمل بعودة الرتبة للخيام. فاقترح أحد الشيوخ الحكماء أن يعرضوا الأمر على رجل فطن (أو ما يعرف بينهم بالدبار) ليقترح حلا للمسألة، وكان الأمر كذلك. وتوجه نيف من دعاة الصلح ليجمعوا بالدبار، وقصوا عليه القصص، فاغتاظ للأمر، واقترح المصاهرة بين النجعين. وأن يزوجوا الفتاة مريم من الشاب خليفة حتى يطوى الإشكال ويتستر على المرأة الشابة، التي لن تتخلص من هذه الشائعة طوال حياتها إلا بكذا حل وإن كان هذا الاقتراح سيوقد النار بينهم محمدا، لكن لا سبيل لذلك والحلول مفقودة، ولن يستصغها الطرفان وإن وجدت.

لقد كان في اقتراح الدبار شيء من الحكمة مغزاه إنماء الصراع، وبالتحديد احتواء الفضيحة وهتك عرض الفتاة.

انطلق وفدان من القبيلتين يعرضان الصلح والمصاهرة. وكما كان متوقعا، زاد الطينة بله. ورفض كل المتنازعين العرض دون التفكير في الموضوع، مع مواصلة التهديد والوعيد بالثأر.

أما في تلك البلاد البعيدة لازال الزمن يخفي خليفة الذي يريد العودة للأهل والديار بنفسية مزهرة، لكن الخوف يملكه، والعذاب والتشرد أحكم عليه، خصوصا وقد مضى على غيابه شهورا الشيء الذي ألبسه ثوب التهمة بإحكام دون أن يتعمد الفرار.

إن الظلم حقا ينتقي ضحاياه ! وظل فكر الرجل يتأرجح بين الاقتراب والابتعاد من سعيه الحرب التي اشعلها، واختفى ولم يدر بتطور الأحداث بعده.

في إحدى الأسواق التي يرتادها خليفة، جاء على لسان أحد الموالين أن ربعا يقيمون في عمق الصحراء البعيدة تنازعوا بسبب اعتداء رجل على امرأة في حرماها، وجلب للقبيلة وصارت القصة حديث العامة.

واسترسل الموال في سرد الاوضاع هناك وما شاهد وما سمع وما فهم وما إلى ذلك. وخلف الحضار والنظار يستمع خليفة المسكين إلى ما يرويهِ الرجل، ولا يكاد يميز بين صحيح الأخبار والكاذب منها. ظل طوال اليوم في ذهول وحيرة من أمره، باهتا يراجع بتمعن تفاصيل ذلك اليوم ولا يكاد يتذكر الواقعة ولا أبسط تفاصيلها ولو لحظة منها. غير ملامح امرأة | جميلة سقطت من قمة الغرود العالية إلى أسفلها وعلى الفور يعود بتفكيره في الورطة. يوم جديد مؤلم يعيشه المسكين محملا برياح الشوق والحنين والفراغ وقلة الخيلة. أصبح مفزوعا لما اتهم به، وما حل بقومه بعده. تراه يعيد تفكيره ويقلب اضطرابه، محدثا نفسه بصورته السيئة التي خلفها. "فعلا الحزن يليق بالجناء!"

فالرجال الحقيقيون يقفون في وجه النار ولا من الظل. وأن المواجهة أمام الأبواب وليس خلفها. غادر خليفة مجمع السوق ولم يتفوق على الصراع بداخله، ألا لحاله وللظلم الذي يتعرض له في غيابه. لقد غربه الزمن قصرا وسرق منه الكثير من الثقة، لكن إيمانه بالله سعيده للطمأنينة من باها الواسع.

يصعب عليه حاليا التفكير بجدية واتخاذ القرار. لقد شاء القدر دون أن يستشير! فهل سيجعل منه أكثر شراسة وافتراسا!.. لا يقوى الرجل أن يكون كذلك لأنه نشأ على التسامح، ويميل فكره للحظة نحو المواجهة والعودة إلى حدود الزروب أين ترك هنالك ربعا وأهلا يترقبون رجعتة.

لقد أضنى التشرذ خليفة في ربوع الصحراء، وعليه أن يعود أدراجه، فالدروب الوعرة التي لا توصلك إلى أي مكان لا تستمر فيه. واجه رعد الأقاويل والاتهامات! هذا ما كان يحدث به نفسه، فالشائعات والإساءات هي من تنسج خيوط الفتنة وتطيل عمرها.

أشهد خليفة بشرا في عمق الصحراء أنه سيشد الرصن إلى حيث توقن حياته، وسيواجه المجهول الذي ينتظره عند أولئك الناس الذين يترقبون ظله بكرة وأصيلا. إنهم يعدون له مخواب من الانتقام سينال منه مهما طال الزمن. متفقون أن رأسه هي رد الشرف، وإلا فلن يكون للقبيلة هيبة في أوساط باقي القبائل.

لقد طال التوعد، ولا أحد يأتي بجديد الغائب. إنهم لا يدرون أن السجين قادم على المقصلة يخفي حيننا تعزفه روايات التهديد، واتهامات الاعتداء على نساء القبيلة. وأضحى الاقتصاص أمرا حتميا، فالعين بالعين والسن بالسن.

إن العودة إلى القواعد ستستهلك شهورا وليالي. وبين الحين والحين لا أحد يدري متى ستنفذ الغارات على القبيلة، وهو ما يخشاه خليفة خوفا على أهله.

لقد شد رحال العودة والمجازفة بحياته حتى يجنب قبيلته وأهله الخطر المحقق بهم. وهو يدعو الله ألا يحدث شيئا، ويؤجل القصاص لحين عودته. محملا نفسه مسؤولية ما حدث، مستعدا لأي عقاب شريطة ألا يداس شرق النساء عند ربعه.

يصعب جدا أن تكبح غضب الشباب الثائر، فلولا مواقف شيوخ القبيلة لثم القصاص في ليلته. لكن الفتية لا تعصي أوامر الأعيان. وتخضع لزاما إلى دعوة الأعيان والنبلاء. فالوقار جزء لا يتجزأ من روح القبيلة، وإن كان الوضع المتوتر يضغط بقوة على نفوسهم للتخلي بالصبر، كأنهم يدرون أن الجاني آت، وأن الزمن ييطئ من عجلة الانتقام والغضب كي لا تفني الحروب حياة القبيلتين عن آخرها.

وفي فجر أحد الأيام عندما كان الرجال يتفرقون عقب صلاة الفجر، بلغ خليفة تربة الربيع، ولم يلمح أحد وصوله نظرا للتغيير كبير طراً على شكله، ساهم في مداراته بين ظلام يودع نهايته، وبزوغ يوم جديد يولد عبر الخيط الأبيض.

وظهر الى الناس عند خيام الحاج بشير، دون أن يلفظ بشيء، لأنه بالفعل لا يدري ما يجب قوله. فهل يحق له الاعتذار على ذنب لم يقترفه؟

لم يعد الرجل يميز الصحيح من الخطأ لأنه بالكاد يتذكر اسمه نتيجة لقساوة التهمة. اجتمع الناس في لمح البصر ليطلعوا عن كذب ما سيحل بخليفة، وهم منقسمون بين مناد بالقصاص وبين داع للتسامح. لكن الأبناء الأربع ليسوا في موقف الخيار. بل طلبوا على الفور ضرب عنقه والتخلص منه ومن العار الذي لحق بهم. وهاهم أمام الملاء يخوضون وبصوت فوضوي حديثا وملاسنات يقذفون بها الرجل الصامت أمامهم. لقد كان الإخوة يتمنون الانقضاض عليه بضربة سيف، لولا وجود الحكماء والنبلاء بينهم... انه لموقف صعب أن تفقد الكلام في الوقت الذي يتوجب فيه الحديث حتى تتصد للتهمة.

توسل الرجل للجميع طالبا منهم الإصغاء إليه، ومؤكدا في ذات الوقت براءته من التهمة المنسوبة إليه، ومجيئه فقط كي لا يؤكد عليه الفعل. وأن ابتعاده كان بسبب استيائه الشديد من الموقف والخطر المحدق به.

سادت فوضى عارمة أمام الخيام بلغت حد الاشتباكات العنيفة بين الشبان من أهل مريم وبعض الفتية ممن رافقوا خليفة إلى دبار الحاج بشير (والد مريم).

وعلى حين غفلة أصاب الابن الصغير للحاج بشير والمسمى الهلالي، كاحل خليفة بمنجل مصداً التقطه من خلف إحدى الخيام. وكان المراد من الضربة هو طعنه حد الموت. لولا تفتن خليفة الذي قفز بخطوات إلى الخلف. لكن الإصابة نالت من قدمه. تأزم الوضع بعودة الرجل واشتعل فتيل التوتر مجدداً بين الربيعين، واحترار الوسطاء في فض الصراع.

وغير بعيد عن ديار القوم كان يقيم شيخ مسن له صيت بالغ من الحكمة ورجاحة العقل، حمل بنفسه وتوجه إلى الغرود العالية التي تفصل بين النجعين وارسل الى ديار القوم طالبا لقاء الطرفين بحضور الوجهاء ممن يتصفون بالنبيل والرصانة، وهم من تلجأ لهم اغلب القبائل لحل الصراعات. وبعد نقاش مطول لم يخل من الصراخ والتوتر. تداولت آراء عدة تدعو أغلبها إلى الصلح، ونبد الفتن والتخلي عن العصبية القبلية والابتعاد عن إراقة الدماء. فليس بالهين أن يقيم كلا الربيعين متجاورين بلا طمأنينة. وكان مما دعى إليه الشيخ الجليل، والخطر يتربص بالجميع، المصاهرة بين الطرفين لفك الصراع ووضع حد للمشكلة والتقليل من القيل والقال.

لم يستصغ طرفا النزاع الفكرة، ورفضوا في بادئ الأمر الحل المقترح. لكن الأعيان والوجهاء ظلوا يترددون على ديار القوم مدة طويلة. ويكثرون من المجالس بينهم مطولا، والحديث إلى شبابهم عن مواطن الصلح فأضحى مجمع القبيلتين أمرا اعتاده الجميع. حتى لكأن البعض ظل ينتظره لما يسوده من أمن وتداول المواضيع اخرى طغت على الحديث في المشكلة الرئيسة.

ومرت الأيام والهدوء يعود تدريجيا للمكان وكثرت اللقاءات والاستشارات في شؤون الرعي والتنقل والترحال وغيرها من الأمور ذات الأهمية البالغة لرجال البدو. قدم الشيخ الجليل إلى العائلتين، وأعاد فتح موضوع المصاهرة محمدا بشيء من الحكمة وروح الإقناع، ولم يبد الطرفان أي رد فعل عنيف تجاه الطرح، والتزم الصمت. وطلبا مهلة للتشاور في الأمر.

لقد وفق الشيخ بعض الشيء في تدخله لإصلاح ذات البين. مدركا أن الانفراج يحتاج لطول صبر ورجاحة عقل.

قدم الحاج بشير إلى أهل بيته، وأخبر الأم فاطمة بالموضوع، وأعاد عليها ما اقترحه المجمع. ثم أبلغ أبناءه الأربع كذلك. وان لم يبدوا شيئا في الأمر. لكن طيش الشباب وافتقار التدبير في الأمور كان ذريعة في انتقاد تصرفاتهم وقلة حيلتهم في الحياة. تلك الأم المسكينة لا يشغل بالها إلا حديث الناس. وهي ربما الوحيدة التي ابتهجت للأمر في سرها. همها فقط تدارك الموضوع، والتخلص نهائيا من القيل والقال. فهكذا شائعات تماما للنساء وغالبا ما تبقى وصمة عار في تاريخ الأسرة ولو بعد

أجيال. أبلغت السيدة فاطمة ابنتها مريم بالموضوع وهي التي لم تبد رأيا فيه، لأن بنات القبيلة عادت لا تستشار في هذه الأمور. وما عليهن سوى التهيأ للنصيب دون أي اعتراض.

وظلت مريم طوال الوقت تصغي لأمها دون أن تناقش المسألة. وهي التي تدرك جيدا أن رفضها لهذا الزواج ليس في صالحها، بل سيجر الجميع مجددا إلى دائرة الصراع.

وغير ذلك، لن تكون للفتاة فرصة أخرى للزواج. لأنها كانت ضحية كلام الناس، ولا تملك سبيلا آخر للنجاة من الملاسة سوى تقبل الواقع.

عم الخير أرجاء الربع، وتداولوا موضوع الزواج وسط معاناة كبيرة، وكانوا في كل مرة يعودون لسرد الواقعة من أولها، وهو ما يفسر الطباع الحادة لسكان البادية. بحكم تعايشهم قرب بعضهم البعض، والاطلاع بالتدقيق على الأمور العامة والخاصة، التي تحتاج لسرية تامة لمداراتها. لكن هيهات أن ينجح أحد في ذلك.

عملا بأصول العائلات السوفية، توجهت نسوة من أهل خليفة في إحدى أوقات العشية إلى خيام الحاج بشير، ليتقدمن رسميا الخطبة مريم دون الخوض في الأسباب. نظرا لمعرفة الجميع للظروف التي دفعت بهم للخطبة واكتفت النسوة بشرح ظروف المعيشة البسيطة لخليفة، والتي تميل إلى الفقر في أحيان عدة.

لكنهن وعدن بذل الجهود لتقدم الأمور المادية قدر المستطاع دون أن يخفوا الحالة المادية والاجتماعية الوضيعة التي ستعيشها الكنة مريم فيما بعد، حتى تضع أسرة الحاج بشير في الصورة. فالخيمة ذات الرقع الكثيرة ستكون مسكنا للعروس. ذات الأسرة التي لا تملك ما يمتلكه معظم خيام الربع من رؤوس أغنام وإبل عديدة. وكل ما لديهم هم ثلاث معزات يقتاتون على حليبها وبعض الدجاجات. فالمظهر العام للأسرة يوحي بأنها الأقل مستوى في المعيشة، نظرا لغياب الأب المتوفي منذ فترة طويلة ولم يورث للعائلة لا جاهها ولا رؤوس ماشية لتدل على الثراء. أيضا لا يملك خليفة شغلا أو مصدر رزق كبير، واكتفى بالعمل كأجير لدى بعض ملاك الواحات البعيدة أو كراع لماشيتهم بين الحين والآخر.

هذا هو الوضع العام للعائلة، والذي أعاد توضيحه أمام الرجال ممن رافقوه لخطبة الفتاة من أبيها، وتم الإفصاح عن كافة التفاصيل الرسمية.

في حضور المجلس، لم يخف أحد الفتية (الشقيق الأوسط بعض الشروط التي تعتبر تعجيزية نوعا ما. لكن لتعجرف الشباب الذي لا يزال يكن بعض الحقد بسبب الحادثة موضحا بأن شقيقته ليست هدية مجانية. وعلى خليفة أن ينفق المال اللازم لإقامة عرس أقل ما يقال عنه متوسط. واسترسل الفي في وضع لائحة من الشروط غير منقوصة من بعض الأشياء التي تعتبر بالنسبة له ضرب من المحال. لكنه أبدى استعدادا لجهوزيته ليكون في المستوى المطلوب. مؤكدا أنه وفي حال تعذر عليه الأمر، سيكمل ما نقص منه بعد إتمام الزفاف..

قرأت فاتحة الزواج في مجمع الرجال وهم يدعون بصلاح الحال والزواج السعيد الهانئ. وبعد أيام قلائل، أقيم العرس وسط حضور محتشم. واقتصر على الأهل والمقربين. خال من الولايم الفخمة، مفتقر إلى أهازيج الزرنة. استثنى منه قليلا من زغاريد النسوة للحظات.

اجتمع خليفة مريم وأصبح للزوجين خيمتهم المتواضعة بين خيام الربع. تجمعهم ألفة ومعيشة بسيطة، حيث يتوجه الزوج كل صباح الى العمل كأجير لدى الأعيان وامتهن كافة الحرف، بين راع للماشية، إلى فلاح بالواحات يهتم بالنخيل، إلى سقاء للإبل وغيرها من الأعمال. وأدرك تماما أن مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتقهن وهو الذي أضحى مسؤولا عن أسرة سيتضاعف عددها مع مرور الأيام. والذي لا ينس أبدا أن زواجه هذا جاء اضطراريا، ولم يخطر بباله ولم يكن سوى حلا الزاميا لفض الفتن والعداوة بين الربيعين. لكنه في الواقع كان زواجا مثاليا أقل ما يقال عنه ناجح إلى درجة كبيرة.

نمت محبة كبيرة بين الزوجين وتقارب كبير أشبه ما يكون كعاشقين تزوجا عن حب أعمى، رغم أنه كان يجرم لدى تلك القبائل أن يرى الزوج زوجته قبل الزواج حتى رؤيتها عند الخطوبة، ويتم التعرف عليها فقط ليلة الزواج عندما تزف إليه.

الحسن حظ الزوجين استطاعا وفي فترة وجيزة تجاوز العقبات وخلق شيء من السكينة بينهما، وعشرة جميلة رضي بها الاثنان في حياة بمستوى دون البساطة بكثير.

كان هذا ما استشعرته الأم من حديث ابنتها في كل زيارة وهي التي لم تتدمر من حياتها الجديدة. لكن والدها في جيدا أن ابنتها تنقصها العديد من الأشياء، وإن كانت لا على عشرتها مع زوجها وهي التي رضيت به نصيبا حتى وإن لم يقيم لها عرسا كبقية الفتيات. لكنه النصيب الذي لا يستشير صاحبه.

كان إخوة مريم يلقون بحديث مسيء لصهرهم كلما قدم إليهم ليأخذ زوجته من خيام أهلها. يلقون إليه بالكلام الجارح، يذمونهم بعدم أهليته للزواج وأن أختهم هدية له من السماء، لم يسبق وأن حصل عليها أحد قط. إلا أنه يقابلهم بصمت احتراما لأهلها وإخوتها حتى لا يشتبك معهم. واحتراما لزوجته كذلك. ثم يغادر دون أن يرد على استفزازاتهم.

وتوالت هذه التصرفات وتزايدت في حدتها. وتفاقم الوضع بين إخوة مريم وزوجها الذي لم يعد يتحمل نظر اهم المهينة، وقرر ذات يوم التوجه إلى إحدى مدن الحضر ليحلب لزوجته كسوة لائقة كانت تنقصها أيام زفافها والتي وعداها بها. وهي الأسباب نفسها التي خلقت نوعا من التوتر بين العائلتين.

لقد أراد خليفة أن يحفظ شيئا من الكرامة أمام زوجته التي أبدت رضاها بالعيش معه وأنا راضية بالوضع، وما يهمها هو العيش في هدوء وسكينة بعيدا عن عودة المشاكل. إلا أنه أصر على الذهاب وإن كلفه الأمر حياته. معتبرا ذلك تحديا ليضع احدا لإخوة زوجته ومشاحناتهم، في نفس الوقت وجد أن زوجته تستحق الهدايا وهو الذي لم يهداها شيئا عندما تزوجها.

وماهي إلا أيام حتى جهز خليفة رحاله وودع زوجته وسلك غرود عالية، مبتعدا شيئا فشيئا عن الديار طريق السفر عبر قاصدا المجهول. دون أن يأخذ في الحسبان المسالك الوعرة في الصحراء والمخاطر التي قد تلحق به. تاركا خلفه زوجة انتاجها الحزن والقلق وهي التي ترجته أن يعدل عن الفكرة ويتراجع عن قراره، لكنه أصر على ذلك. وها هي تقف وحيدة عند مدخل الخيمة محتارة

وحزينة، تتساءل في سرها عن موعد عودته. لتخبره أن عائلتهما سيزداد عددها بعد عدة أشهر لأنه لم يكن يعلم أنما حبلى في أيامها الأولى.

غادر خليفة عائلته على أمل أن يغيب لأسبوع أو أسبوعين كأقصى تقدير، نظرا لبعدها مناطق الحضر عنهم. وهو الذي لا يدرك حجم المخاطر التي تترصده، خصوصا قطاع الطرق الذين يحترفون السطو وعمليات الإجرام على عابري السبيل. ولسوء حظه وقع بين أيديهم عند إحدى السيوف أين سلبوا له كل الزاد والمتاع ورموا به في قاع بئر قديمة وعميقة جفت من المياه، هجرها البدو إلى مكان آخر،.. وغادرت تلك العصابة إلى وجهة لا يعلمها إلا الله. وهم من اعتادوا على هذه الحياة البرية. في ظلمات البئر القديم بقي خليفة محبوسا بداخلها عدة أيام مكتوف الأيدي، وهو الذي تعب من الصراخ والاستنجاد. لكن هيهات! لن يسمعه أحد. تعب من الصرخ وهو يحاول الفت انتباه الناس ممن يمرون بالبئر. ولم ينتبه أحد لذلك لأنه مكان قلما يمر منه البشر، عدى بعض الرجال أو بعض اصحاب الإبل الرحل عندما يتوقفون للاستراحة قرب تلك الآبار.

ولا يزال الرجل في قاع البئر ينتظر الفرج لإيمانه القوي بالله وان الفرج وشيكا. لكن، طالت المدة ولم يأت خليفة في مواعده واختفى لشهور ولم يرد منه شيء. لقد كان اختفاء الرجل حجة بالغة للفرار من مسؤولية حسب ما يردده يوميا إخوة مريم أمامها. وأنه ذهب بلا رجعة لعدم أهليته للعناية بأسرته.

وظلوا يذكرون أختهم بأنه شخص غير مرغوب فيه بينهم، ولا يمثل أبدا شرف العائلة وما وجوده إلا حادثة حتمها القدر عليهم. والأخت المسكينة تصغي في صمت. ولا تزال تتحمل حديث إخوتها في حق زوجها الغائب. وهي لا تدري عنه شيئا. أهاجر بلا رجعة! أم هجرها عمدا! أسئلة كثيرة تريد مريم إجابة عليها وسط حزن عميق وانزواء عن الأهل، حتى أصيبت باكتئاب و فراغ حاد أثر كثيرا على حملها في أشهره الأولى. وبدت عليها مظاهر الضعف والوهن.

وهي بالكاد تستطيع الوقوف مع تقدمها في الحمل. في الوقت ذاته يصر إخوتها على تعمد فرار صهرهم. والمسكينة لا تحد رد كافي للدفاع عنه وهي تجهل حتى إن كان على قيد الحياة أو رحل إلى دار الحق !

ها هم الإخوة لا يتوقفون عن نقدهم الحاد لصهرهم ولم يراعوا | مشاعر أختهم المرهقة من كلامهم، وللظروف القاسية التي آلت إليها، كأنها لم تشع يوما بذلك الجمال والهدوء، وتراها تدبل يوما بعد يوم جراء الضغط الذي تعيشه.

أمام هذه الحالة، قرر الربيع إرسال رسولين أو ثلاثة خلف الزوج طلبا في عودته للديار وإلى أهل قبيلته، واختير للمهمة ثلاثة رجال ممن يحترفون تقفي الأثر وهو ما يعرف لديهم بـ "قصاص الجرة" أي متقفي الآثار. وهم ممن يشتهرون أكثر من غيرهم في هذه المهمة. كيف لا وهم من ترعرعوا بين حبات الرمال، ويدركون جيدا الأسرار التي تخفيها الصحراء. إنهم الأبناء الفعليون لتلك السيوف. انطلقت القافلة عند بزوغ الفجر يصحبون معهم إبلىن محملة بالزاد تكفي لعدة أيام وكلهم أمل أن يعودوا بصحبة خليفة، نظرا لثقة الربيع فيهم، لاتصافهم بالشجاعة والإخلاص والمروءة.

وهاهم يتعدون شيئا فشيئا، ومريم ترقبهم من خلف ستار، تدعو لهم بالنجاة ولعودة رفقة زوجها الذي اشتاقت له كثيرا، وهي من تشعر بضعف سندها في غيابه، وعيون الشماتة تلاحقها في كل مكان، وفي عيون الناس.

في تلك البئر العميقة لا يزال الرجل الهزيل يحاول فك الرباط عن معصميه، متحليا بالصبر والإيمان الكبير. والدعاء الذي لا يفارق قلبه. وشيئا فشيئا فك الرباط بصعوبة واستمر بطيء يفك ما تبقى منه بصبر عميق وجهد جهيد حتى نجح في ذلك ورفع الحبل عن يديه تحت الجروح الدامية وهو يحمد الله كثيرا.

ثم باشر في التمسك بجدران البشر من الداخل محاولا التشبث بها بغرض الصعود للأعلى. تراه يصل الى المنتصف ثم يهوي مجددا د القاع وقد أكل منه التعب والضعف والوهن. لكنه لم ييأس من

حاله. وظل يحاول ليلا ونهارا واستطاع بنجاح بلوغ حافة الحاسي كما يسميها البدو (وهي البئر) وتمسك بجبل الخطارة البالي الذي كان متديا، واستعان به بجذر حتى يبلغ السطح.

لقد نجح أخيرا وارتمى إلى خارج البئر وأنفاسه المضطربة تتلو الحمد على النجاة بجسد هزيل ملقى على الأرض يرتفع وينخفض.

إنها الأقدار شاءت أن يجيا الرجل من جديد بعد أيام طوال محتبسا في قاع الأرض لا تدري عنه الخلائق شيئا.

أغمي عليه من شدة التعب، وظل مرميا على الرمال حتى منتصف الليل. حيث أيقظته نسيمات الصحراء الباردة بعض الشيء. وبالكاد استطاع أن يرفع رأسه محاولا الجلوس، وبصعوبة تمكن من الاتكاء على يمينه، ثم انحنى قليلا حتى جلس كليا يتلفت يمينا وشمالا وهو لا يكاد يتذكر حاله ولا حيث هو. لا يرى سوى السواد المعتم يعم أرجاء الأرض ونجوم السماء يعصب عليه التحديق بهما كلما حاول ذلك لشدة الألم.

استرجع الرجل شيئا من طاقته، وهو يحاول الوقوف ببطء تيمم لأداء الصلاة وهو لا يدري أي صلاة سيقمها. لكنه واصل صلاته وحمده متأملا ظلما دامسا وبادية مجهولة الهوية. استرخى على الأرض يتوسد كفيه. ثم نام نوما عميقا حتى طلعت شمس الصباح. استيقظ حينها وتنهد مطولا.. واستعد للرحيل وإكمال مهمته التي ترك لأجلها زوجة تعلق بها كثيرا، لكنه غادر لأجلها ليحفظ كرامتها، متحديا إخوة غلاظا لا يفوتون فرصة لإهانته. لكن بهدوء ورجاحة عقله استطاع التصدي لاستفزازهم شفقة على زوجته التي لا ذنب لها وغادر المكان وهو يحمل عددا من الأسئلة تنتظر الإجابة.

واصل خليفة سيره لقرابة يومين أو ثلاث دون طعام ولا شراب حتى شارف على مساكن الحضر ودخلها وهو لا يقوي حتى على الوقوف. لكن الأهم أنه وسط الأحياء. ولم ينقطع المارين حوله من التعاطف معه ومساعدته بالمأكل والمشرب والألبسة.

استعاد عافيته جيدا ثم باشر بالعمل كأجير لدى تجار السوق و الباعة على الطرقات وكحمال وما إلى ذلك من الاشغال المتعبة. وكان ينام ليلا في الأزقة الضيقة الهادئة متكوراً وقشابتيه البالية ومفترشا برنوسا قديما صنع من الوبر.

أنه لا يشعر بقساوة الجو، لأنه يغط في نوم عميق بعد يوم كامل من التعب والجهد. وأصبحت هذه يوميات الرجل يعيل بها نفسه في بلاد غريبة قصدها ولا يلوم طباع أهلها. لأنه تغرب قبلا لدى ربه وبين أهله.

لقد تعود المسكين على نمط المعيشة منذ قدومه إلى هذه الديار القرابة الثلاثة أشهر. لم يشتكي حتى لنفسه قساوة عيش الغريب، وفكره محصور دائم في ساعات العمل وكيف يقطني قوت يوميه وكيف يجهز كسوت زوجته التي قدم لأجلها مجازفا بحياته، متخطيا مخاطر عدة.

لقد بلغ مراده وأصبح يرتاد على السوق يوميا يختار من الأقمشة أفخمها، ومن العطور أطيبها والأجمل من حلي النساء. البة كل يوم يتتاع ما يحلو له دون أن يحدد موعد العودة.

وكان الوقت سلب فكره ولا يعلم لما يقوم به. او أن الزمن يقف عنده ينتظر. إنه لا يعد الأيام، فصار لا يميز ليلها من نهارها. ولا يدرك أنه غائب عن الديار لقرابة ثمانية أشهر، وهل أن شبانا من دياره تعقبوه طلبا في عودته إلى أهل بيته سريعا، وإلى زوجته التي تفاقمت حالتها الصحية.

مرت قافلة الشبان الثلاثة بيئر في عرض الصحراء، حيث وجدو قطعة من شاش خليفة ملفوفا بخطارة البئر، وبقايا خط جره على جدار البئر. استوعب الفتية الرسالة واكملوا مسيرتهم باتجاه مساكن الحضر.

وبعد مسيرة يوم لم يتوقفوا خلالها وصلوا إلى المدينة المزدهمة بالكثير من الناس، على عكس ما يعيشونه في عمق الصحراء، حيث تتوزع القبائل متناثرة ومتباعدة يقدر السير إلى أحدها بيوم أو يزيد.. واحترار الثلاثة كيف سيعثرون عليه وسط هذه الخلائق. ويبقى الأهم أنهم بلغوا المكان. باشروا بالسؤال عنه، لكن الكل يجهل هويته، لأن مناطق الحضر مزدحم بالناس من كل الجهات... واستمرت عملية البحث ليلا نهارا وهم يجوبون الأزقة والأسواق. ثم بلغوا المساجد وظلوا يسألون

واقترح أحدهم أن يتوزعوا ثلاثتهم على الجوامع فغالبا ما يعرف المصلون بعضهم ممن يرتادون يوميا على الصلاة وكان لهم ذلك. وتوزعوا على بقية المساجد، ويجمعون بعد الظهر ليتباحثوا ما الجديد. إلى أن عثر عليه أحدهم وهو يدخل إحدى المساجد عند صلاة الفجر. والتقى الرجلان وتحدثا مطولا. وقص عليه القصص واخبار الديار والربيع وعن تطور الأوضاع. وأنهم أرسلوا إليه طلبا في عودته سريعا إلى أهل بيته..

وشد الجميع الرحال قاصدين طريق العودة للديار، حيث تقدر مسيرتهم بأسبوع كأدين تقدير لأن التنقل من الحضر إلى البدو يحتاج أياما طويلا. بينما يستمر الركب سيره قاصدا طريق الرجوع، لا تزال المرأة الحامل تن من السقم الذي يسكن جسدها، طريحة الفراش تصحو ثم تغيب عما حولها. والشهوة تترددن عن خيمتها يسألن عن حالها التي لم يطرأ عليها أي تغيير.

عند الضحى حيث الوقت يميل إلى منتصف النهار، وصل خليفة ومن معه مشارف الديار بعد مسيرة تسعة أيام.. ألتقى بأهله وتحدث إليهم مطولا ثم توجه إلى خيام الحاج بشير وسرد وبالتفصيل ما حدث لهم طوال الثمانية أشهر الماضية ليكذب شائعة فراره العمدي أمام مجمعهم، وهو يقصد بكلامه الفتية الشباب أهل زوجته... وبعدها قص عليهم روايته توجه إلى خيمته المهجورة المعبئة بالرمال والغبار وهو يعلم بأن زوجته عند أهلها منذ رحيله. بعدما التقى مجمع الشيوخ وعرف بتدهور حالتها، فاستاء جدا لذلك محملا نفسه الذنب الأكبر.. توجه بعدها مباشرة إلى الخيام حيث ترقد زوجته. وتفرق النسوة واختلى الرجل بزوجه، ابتسمت بوهن وهي لا تقوى على فتح عينيها، وهمست بكلام شوق لم يستطع أن يميزه ثم غابت عن الوعي محمدا.. وبقي خليفة مطولا يحكي لها ما حدث له طيلة فترة غيابه وعن شوقه الكبير لها. وافترش أمامها الحسوة والزينة التي وعدا بما وهو يدعو لها بالشفاء والولادة السيرة، ويتوعدها بحياة كريمة وهانئة مع المولود الجديد. وهي تذرف دموعا مؤلمة بين يقظتها وغفوتها. خرج خليفة متأثرا لحال زوجته وهو لا يدري ماذا سيفعل وإلى أين يتجه. وظل يرتاد عليها يوميا، يخفف عنها ويسرد عليها أماني جميلة سيحققها لها بعد ولادتها وشفائها. وذات يوم التف حول مريم عدد من النسوة بينهن عجوز لها خبرة طويلة في توليد النساء أشارت لمن

حولها أن علامات ولادة مبكرة تبدو على وجه المريضة. فبعد معاينتها أمرت ألا تظل لوحدها ولو لحظة. وأن يتداول على عنايتها المقربات إليها. كما لم تبخل عليهم هذه العجوز بخدماتها قائلة أنها ستبقى إلى جانبها حتى تضع مولودها بخير وعافية. وما كاد الليل يسدل ستاره حتى بدأت أعراض المخاض، فتتألم تارة وتهتألم تارة أخرى.. والأم تقبع عند رأس ابنتها تتفحصها وتمسح على جبينها وهي تغفو وتصحو دون أن تعي لمن حولها..

وفي ليلة ظلماء يسيطر عليها البرد القارص والرياح القوية تعبت بالخيام، اشتدت عليها آلام الولادة وجاء مريم المخاض وهي لا تقوى على الصراخ ولا تحمل المواجه. والعجوز إلى جانبها رفقة بعض النسوة يسندها لتتحمل الوضع وتشجيعها على الولادة حتى وضعت مولود مولودا ذكرا محفوفًا بزغاريد بلغت أقاصي الخيام..

وبينما هن يتداولن المزيود بين أيديهن غابت النفساء مجدد عن الوعي بعد ولادتها مباشرة وأمها فاطمة وبعض النسوة يوقظنها بضرب خفيف على خديها حتى تستعيد وعيها لكنها لم تتوقف عن الأنين بل ولم تقوا حتى على إرضاع مولودها إلا بمعية أمها وهي التي تحمل الرضيع برفق لتضعه على صدر أمه وبصعوبة تفتح بصرها حتى تراه، واستمر الحال إلى غاية طلوع النهار ولم يغير في الأمر شيئا، ثم تغيب مجددا.

إن حالة النفساء لا تنبؤ بخير جراء الريف الحاد الذي لم يتوقف، وبكاء الرضيع المتواصل لشدة الجوع، مما اضطر نسوة من الربع إلى إرضاعه لينام بعدها الملاك مطولا، في نفس الوقت اللي تحضر فيه النسوة مستحضرات من الأعشاب، وشرابا خاصا يعد للنفساء كي تستعيد عافيتها، لكن ذلك لم يغير من شيئا، ومريم تدبل شيئا فشيئا حتى بزغت شمس الصباح الدافئة والنفساء تودع الحياة بابتسامة الملائكة. لقد توفيت مريم !

سمع على أثرها عويل وصراخ ونحيب الأم والنساء وهن يندبن حظها السيء على شبابها وعلى صغيرها الذي سيربوا وحيدا يتيما لن يعرف أبدا طعم الأمومة. لقد حلت الفاجعة بدار الحاج بشير، وعم الحزن خيامهم والجميع يعيش حالة من الالم الشديد والحرقه. وداخل تلك الخيمة المهجورة يروي

خليفة وحيدا يبكي مصابه الجلل. وهو ينظر إلى تلك الأقمشة والزينة التي لم تمنا بما رفيقة دربه التي لم تعرف سوى المآسي والمشاكل، لقد غادرت بلا رجعة.

وتراه يتبع صدى صوتها في كل ركن من أركان الخيمة موهما نفسه أن غيابها منام سيستفيق منه بعد لحظات. مكذبا حادثة موتها. لقد سكن الفراغ قلب الزوج وخيم بوحشة على المكان، وبات أشبه بوكر مخيف لم يعد يجراً على دخوله ولا المرور بجانبه.

اختارت العائلة قماشاً أبيض من بين الكسوة التي جلبها خليفة، وكفونوا بها جسد مريم التي لم تسعد بتلك الملابس ولم تتعطر بتلك العطور ولا الزينة.

في أوان العصر نقلت جثة الفقيدة إلى إحدى لغرود العالية ودفنت هناك في مكان خال وسط السيوف المتلاصقة لا يؤنسها سوى بئر قديمة شبه جافة. ثم غادرها القوم بدون رجعة.

مر أسبوع من الزمان قرر بعدها الربع هجرة المكان للأبد. فأبرز عاداتهم أن يهجرون المكان إن توفي فيه فرد منهم تشاؤماً من المكان. الجميع يستعد للرحيل بوجوه عابسة يسيطر عليها الحزن يجمعون إبلهم وماشيتهم يفكون الحبال ويطوون الخيام وهم يفكرون في مكان جديد ليقيموا فيه يتماشى ونغط معيشتهم. ويظهر غير بعيد خليفة وهو يحمل ابنه بين ذراعيه متوجهاً إلى قبر زوجته مريم يجلس إليه مطولاً يحادثها في سره وهو الذي تعود على الوضع منذ يوم وفاتها فيأتيها غالباً عند العيشة حاملاً إليها رضيعها يشكو لها حفية ألمه الشديد ووحده وتحمسه على ابنه اليتيم وعلى حالته المزرية التي آل إليها. ثم يغادرها عند حلول الظلام واستمر على هذه الوضعية أياماً عدة منذ دفنها حتى حان موعد المغادرة وانطلق الربع تباعاً يسوقون إبلهم ورحالهم مبتعدين شيئاً فشيئاً عن موضعهم مخلفين وراءهم قبر مريم في تلك لغرود العالية.

إعتاد الربع أن يستريحوا في مكان ما بعد طول ترحال يقيمون في اليوم أو يومين. وما كان طيف مريم ليفارقهم، وهي من تزور زوجها خليفة في منامه وظيفها الذي يتبعه في كل حين. فلا يكاد يميز الحلم من اليقظة، ملاحظها يصعب تفسيرها، لكن الرجل يأنس بوظيفها الذي يأتيه كلما غفي،

بردائها الأبيض الذي لطالما حلمت به وانتظرته مطولا كي تزف به، لكن الأجل سبقت أحلامها ولم تلبس قط في حياتها.

ترى البدو يتعدون بأميال يهجرون مكانهم، وكلما ابتعدوا يحوم خيال مريم التي خلفها القوم في تلك لغرود العالية تحت قبر مهجور يقبع تحت الرمال حيث كانوا يقيمون، هناك ترقد المسكينة وحيدة لا يزورها أحد ولا يسأل عن مكانها بشر.

بينما ظلت تأتي زوجها في منامه كل ليلة تلقي عليه عبارة جديدة، تلقي فيها لومها وحزنها وتحسرهما على الجميع. ترثي نفسها بنفسها، تصف وحدها تارة وتعاتبهم على المهجران تارة اخرى، ثم تستسلم لقضاء الله.

في الواقع، لم ينس المسكين فقيدته وهو الذي يهذي بما كلما تذكرها، ويخبر صغيره عن زيارتها كلما أتته في المنام، لا يريد نسيانها مثلما نساها القوم وخلفوها حيث دفنت دون أن يتذكروها. لازالت الدفينة المهجورة ترسل أشواقها وتحسرهما إلى أهاليها لو ترحالهم، وهي تدعوهم بالعودة إليها وزيارتها، عربة التربة ووحشتها لا تقوى عليها.

كان زوجها يعدها بالزيارة متحدثا بذلك لابنه في صمت، كامل يوم ما الوقوف على تربتها والجلوس إليها رفقة ابنها يكبر. وهو الذي يقرأ عليه كل يوم عبارتها الجديدة التي تأتيه بها في منامه حتى اكتمل قصيدها. وتراه يذكر بها ابنه وانا سويا كلغة تواصل معها لاعتقادهما بأنهما لم ينسوها وقصيدها يذكرهم بذلك، ويرسم لابنها صورتها الجميلة من خلال كلامها المرسل. وتبقى لغرود العالية هي أنستها الوحيدة بعدما تخلى القوم عنها، وهي تنام في أحضانها لسنوات بعد مأساة عاشتها طيلة شبابه، تذكرها قصيدتها الشهيرة التي لاتزال أبياتا شاهدة ليومنا هذا تقول فيها:

غرود عالية والورود عالية والموت فيها جاتي

*** لا صبت ناسي ولا عرب زارتي

اجلي تمت في سرت الله والخليقة اتلمت

*** الارض الصحيحة كيف عيني صمت

جيت ثيرة كان الخشب نطحني

لا نسيتهها ولاهي منامة ساهلة انخرصها

***كذب من يقول كسوته نلبسها

ايخشني الجهل وانقول لازمتني

كسوته شاربيها من السوق دافع فلوسه فيها

***حدر ملك طول اذراعته فيها

جت وافية مليحة سترتي

طرت قبالة ونيا نفحي طارت من الرجالة

***سقطت دمعة عالي جبيني همالة

والسابقة من الخيل لاردني

قلبي حاير ولا من حذايا تحدثه بغماير

***جت ميتي كان بين زوز سداير

لايني مشيت ولا المدينة جتني

ياللي ماشي سلم علي غرد مثيل الحاشي

***في ظني مازال ماوفاشي

علي غرد والرجل ما مشتي

ياغالي شد الرصن والراحلة هيرية

***أعقب على قبري ديره ثنية

في السيف لبيض تربته لاحتني

غرود عالية والموت فيها جتني

لا صبت ناسي ولا عرب زارني

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرهان	
مقدمة.....أ.	

الفصل الأول:

الأغنية الشعبية السوفية

توطئة.....	04
المبحث الأول: الأغنية الشعبية السوفية.....	04
- الأغنية الشعبية.....	04
- الأغنية الشعبية السوفية.....	06
المبحث الثاني: الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية.....	23
- توطئة.....	23
- أغنية غرود عالية.....	23
- شرح أغنية غرود عالية.....	25
- البنية الإيقاعية لأغنية غرود عالية.....	31
- البنية الفنية الجمالية لأغنية غرود عالية.....	35

الفصل الثاني

قصة الأغنية الشعبية غرود عالية

المبحث الأول: تحليل قصة أغنية غرود عالية ودلالاتها.....	38
- توطئة.....	38
- ملخص القصة.....	38

فهرس المحتويات

41	- السرد والوصف في القصة.....
42	- العلاقة المتبادلة بين السرد والوصف.....
46	المبحث الثاني: المرأة والمجتمع السوفي في قصة الأغنية الشعبية السوفية غرود عالية.....
46	- توطئة.....
46	1- قصة الأغنية الشعبية غرود عالية عرش القطاطية ووصف مكان عيشهم.....
48	- تعريف الرمز.....
50	تعريف الدلالة.....
51	- اللباس.....
52	2- العادات والتقاليد والقيم والأعراف.....
54	الخاتمة.....
56	قائمة المصادر والمراجع.....
60	ملحق.....
89	فهرس المحتويات.....